القصائد

- القصيدة الأولى: يا مرشداً قاد بالإسلام إخوانا
- القصيدة الثانية: مناجاة في ليلة القدر
- القصيدة الثالثة: في ذكرى المولد
- القصيدة الرابعة: دمعة وفاء
- القصيدة الخامسة: أنا والشعر
- القصيدة السادسة: الملحمة النونية
- القصيدة السابعة: السعادة
- القصيدة الثامنة: ثورة لاجئ
- القصيدة التاسعة: ابتهال
- القصيدة العاشرة: مناجاة
- القصيدة الحادية عشرة: يا أمَّتي وجب الكفاح
- القصيدة الثانية عشرة: رسالة شوق وحنين
- القصيدة الثالثة عشرة: بنت قنا
- القصيدة الرابعة عشرة: الفراق الطويل
- القصيدة الخامسة عشرة: بشرى ودعاء

القصيدة الأولى

يا مرشداً قاد بالإسلام إخوانا

هذه القصيدة من قصائد المناسبات الإسلامية.. نظمها الشاعر عام ١٩٤٧م وكان وقتها طالبا في المرحلة الثانوية بمعهد طنطا..

وكان من عادة الإمام حسن البنا رحمه الله أن يزور مراكز الدعوة ويتفقدها.. مرشداً وموجهًا.. وفي إحدى الزيارات نظم القرضاوي هذه القصيدة وألقاها في شعبة الإخوان بطنطا بحضور المرشد.. وبعد سماع القصيدة قال الإمام: هذا شاعر فحل.

وتبلغ أبيات القصيدة خمسة وعشرين بيتا.

يا مرشداً قاد بالإسلام إخوانا

يا مـــرشـــدًا قـــاد بالإسـلام إخـــوانا

وهزَّ بـالدعـــــوة الـغـــــرَّاء أوطـانا

يا مرشدًا قـد سرَتْ في الشَّرق صيـحته

فـــقـــام - بعـــد منام طال - يقـظانا

فكان للعُـــرْب والإِسـلام فـجـرَ هُدًى

وكـــــان للغـــرب زلـزالاً وبركـــانًا

ربَّيت جـــيـلاً من الفـــولاذ مَـعْـــدِنُه

يزيدُه الـضَّـــغط إســـلامًـــا وإيمـــانا

أرَدْت تجـديدَ صـرحِ الدين إِذْ عَـبَـثَتْ

به السـنونُ فـــهـــدَّت منه جـــدرانا

فـقـــمت تحـمل أنـقـاضًـا مكـدَّسـة

وعـــشتَ تُعـلي لدين الـله أركـــانا

ترسي الأساسَ على التوحيد في ثقة

وترفع الصرح بالأخلاق مزدانا

حتى بلغت الأعالي مصلحًا بطلاً

تُطلُّ من فوقها كالبدر جذلانا

وثلَّةُ الهدم في السُّفلى مواقعُهم

صبُّوا عليك الأذى بغيًا وعدوانا

ترميك بالإفك أقلامٌ وألسنة

خانت أمانتَها، يا بئس من خانا

وتنشر الزُّورَ أحزابٌ مضلِّلة

تغلي صدورهمو حقدًا وكفرانًا

كذاك لابُدَّ للبنَّاء من حجر

يصيبه أو يصيب الطين أردانا[1]

ولم نلمهم فهذا كُلُّه حسدٌ

والغلُّ يوقِدُ في الأحشاء نيرانا

---

(١) كان تعليق الإمام البنا حين سمع هذا البيت : ياربِّ سلم.

وانظر ليوسف إذ عاداه إخوتُه
فجرَّعوه من الإيذاء ألوانا
رأوه شمسًا وهم في جنبه سرُجٌ
رأوا أباهم بهذا النور ولهانا
فدبَّروها بظلماءٍ مؤامرةً
ليبعدوا عنه وجهًا كان فتَّانا
ألقَوْه في الجُبِّ لم يرعَوْا طفولتَه
باعوه كالشاة لم يرعَوْا له شانا
وعاش يوسفُ دهرًا يخدم امرأة
عبدًا، وكان له في السجن ما كانا
فإن يكن نسلُ يعقوبٍ كذا فعلوا
فلا تلم نسلَ فرعونٍ وهامانا[1]!
ودَعْ أذاهم وقل: موتوا بغيظكمو
فالغربُ مولاكمو والله مولانا!

***

(١) كان تعليق الإمام الشهيد هنا: نسل يعقوب أمكر وأغدر.

آذَوْكَ ظلـمًـا فـلم تجْـزِ الأذى بأذًى

وكـان منـك جـزاءُ السـوء إحـسـانا

وكنتَ كـالنخل يُرمى بالحـجـارة من

قـوم فـيـرمـيـهـمـو بالتـمـر ألوانا

قـد أوسـعـوك أكـاذيبًـا ملفـقـة

وأنت أوسـعـتـهم صـفحًـا وغـفـرانًا

وقلـت: ربِّ اهدهم للـحقِّ واهْدِ بـهم

واجـعلهـمـو للهـدى جـندًا وأعـوانا

ومَنْ تـكن برسـول الله أسـوته

كـانت خـلائـقـه رَوْحًـا وريحـانا

●●●

القصيدة الثانية

مناجاة في ليلة القدر

قصيدة نونية بمناجاة ليلة القدر.. نظمها الشاعر ليلة ٢٧ رمضان عام ١٣٦٩هـ، ١٩٤٩م بمعتقل الطور.. وذلك عندما احتفل الإخوة المعتقلون بهذه المناسبة الطيبة، وكانت هذه القصيدة مما أُلقي في هذا الحفل، وكان ختامها دعوات ومناجاة مبتهلة إلى الله سبحانه.. وكان من فضل الله تعالى أن استجاب لهذه الدعوات، وفرَّج الكرب وسقطت وزارة الطغيان وزارة إبراهيم عبدالهادي في ذلك الوقت. وجاء العيد حاملاً معه البشرى وبدأ الإفراج عن المعتقلين..

والقصيدة طويلة ولم أتمكن من الحصول عليها كاملة.. وقد سجلت الأبيات التي يحفظها الشاعر وعددها ثمانية وعشرون بيتا.

مناجاة في ليلة القدر

عـشـقتـهـا فَـاسْـتَـرَقَّت قلبي العـاني
فـقـمت أعـزف فيـهـا عـذب ألحـاني
سـمَّـوْه شـعـرًا، وإني لا أراه سـوى
آهات قلبـي وإحـسـاسـات وجـداني

***

يا لـيلة زانهـا ربِّي وشـرَّفـهـا
تنـزيلـه في دُجـاهـا نورَ قـرآن
دسـتـورُ حق وتشـريع وتربـيـة
يبـقـى، وإن زال هذا العـالم الـفـاني
ربَّى رجـالاً مـغـاوير اهتـدوا وغـزوا
إنَّ الرُّجـولـة من نـور ونيـران
أمـسى بـلالٌ به مـن ذلَّةٍ مـلكًـا
وصـار سلمـانُ شيـئًـا غيـرَ سلمـان!

للَّه فـــتـــيـــان حق لو رأيـت فـــتًى

منـهم ترى مَـلَكًـا في زيٍّ إنســـــان!

فـمن يُداني أبـا حـفص وصـاحـبـه؟

ومَنْ يُدانـي عليّـــاً وابن عـــفَّـــان؟

هذا الكتـاب غـدا في الشـرق واأسفـا

شـمـسًـا تضيءُ ولكن بين عـمـيـان!

يُحـــاط بالطفل حِـــرْزًا من أذًى وردًى

وفـيـه حِـرزُ الوَرَى من كل خـسـران!

يُتلى علـى ميِّت في جـوف مـقـبـرة

ولـيـس يـحـكم فـي حـيٍّ بـديـوان!

فكيـف نَرْقى ومـــعـــراجُ الرُّقِـيِّ لنا

أمـسـى يُجـرُّ عليـــه ذيلُ نســـيـان؟!

***

يا ليـلة السلـم والإســلام مـــعـــذرة

فـالسِّلمُ في مـــصـر والإِسـلامُ لفظان

أين الســـلامُ؟ أروني أين مـــوضـعـــه

قـد ضـاع ضـيـعـةَ يُـتْمٍ بين خُـوَّان!

أين الدســـاتيـرُ، فـــانظرها مـعـلـقـة

مـثل التـمائم في أحـضـان صـبيـان!

أين الحـقـــوق ولم نلمح لهـــا صـورًا

إلاَّ ســيـــاطًا كـــأذنـاب لثـيـــران!

***

نحن الـنجـــومُ تزينُ الكونَ طَـلْعَـــتُنا

ويهـــتـــدي بِسَنـانا كلُّ حـــيـــران

نحن النجـوم فـلا تعـجب إذا انْطَلَقَتْ

منَّا رُجـــومٌ أخـــافَـتْ كلَّ شـيـطان

قالوا اسْجُنوا واغمُـروا الأقسام واعتقلوا

فـجـــمَّـعـــونا عـلى حُبٍّ وإيمـــان

وصـادروا مـــالنا من جـهلهـم ونسـوا

أن يحـــجـــروا رزق رزَّاق ورحـمـــان

وأسرفـوا وعَلَوْا في الأرض واضطهدوا
وعُكِّـرَ النيلُ مـن هامـــاته الـثـــاني
وعـذَّبوا كـي يُذلُّوا أنفسًـا طَـمَـحَتْ
وعـــزَّت الـنَّفـسُ أن تعنـو لسلـطان
والليثُ لـن تحني الأقـفـاصُ هامـــتـه
وإن تحكَّـم فـيـــه ألفُ سـجَّـــان

***

يارب إن الطُّغـــاة استـكبـروا وبغَـوْا
بغيَ الذئـاب على قُطعـانِ حُـمْـلان!
يارب كـم يوسـف فـــــينـا نقـيِّ يدٍ
دانوه بالسـجن والقـاضي هو الجـاني!
يارب كم من صـبيٍّ صـفَّدوا فـمـضى
يبكي كـضِـفـدِعـــة في ناب ثعـبـان!
يارب كـم أســرة باتـت مـشـــرَّدة
تشكـو تجـبُّـــر فـرعـــون وهامـــان!
يارب رحـمـاك، انجـز مـا وعـدت به
وانصـر، فنصرك من أهل الهـدى دان!

القصيدة الثالثة
في ذكرى المولد

هذه القصيدة من قصائد المناسبات الإسلامية.. نظمها الشاعر في ذكرى المولد النبوي الشريف عام ١٣٧٠ هـ، ١٩٥٠ م في القاهرة.. وقد نُشرت في مجلة الدعوة التي كانت تصدر في القاهرة.

وتبلغ أبيات القصيدة ستة وستين بيتًا.

في ذكرى المَولد

هو الرَّسـول فكن في الشِّـعـر حسَّـانا
وصُغْ من الـقلب في ذكـــراه ألحـــانا
ذكرى الـنّبي الذي أحيـا الهدى وكـسا
بالعلـم والنور شـعـبًـا كـان عـــريانا
أطلَّ فـــجـــر هداه والدُّجى عَـــمَمٌ
بات الأنام وظلُّـوا فـيـــه عـــمـيـــانا
هذا يـصـــوِّر تمثـــالاً ويعـــبـــده
وذاك يعـــبـــد أحـــبـــارًا وكـــهَّـــانا
الكون بـحـــر عـــمـــيق لا مـنار به
لم يدْر فـــيـــه بنو الإِنســـان شطئـــانا
ويل الصَّغـير! وقد صـار الورى سمكًا
يسطو الكبـيـر عليـه غـيـر خشـيـانا!

فـدولـة الرُّوم حُـوتٌ فـاغـرٌ فـمـه

يطغى على تـلكم الأسـمـاك طغـيـانا

ودولة الفـرس حـوت مـثله كـشـرت

أنيـــابه للـورى بغـــيـــا وعـــدوانا

وحـشـيَّـة عـمَّت الدُنيْـا أظافُـرها!

جـهـــالةٌ أصلْـت الأكـــوانَ نيـــرانا!

اللّـيل طال! ألا فـــجـــر يبـــدِّده؟

ربَّـاه أرسـلْ لـنـا فُـلْـكًـا وربَّـانـا!

***

هناك لاح سـنا المخـتـــار مـــؤتلقًـــا

يهـــدي إلى الله أعـجـــامًـا وعـــربانا

يتلو كـتـــاب هدي كـان الإخـــاء له

بدءًا وكـــان له الـتـوحـيـــد عـنوانا

لا كِـبْـرَ - فالـناس إخوان سـواسـيـة

لا ذلَّ، إلا لمن ســـــوَّاك إنســـــانا

يقـــود دعـــوتـه في اليـمِّ باخـــرةً
تقِلُّ من أمَّـــهـــا شـيـــبًـــا وشـبَّـــانا

السِّلـم رايتـــهـــا، والله غـــايتـــهـــا
لم تـبغ، إلاَّ هـدًى منه ورضـــــــوانا

جـرت بركـبـانهـا لا الـرِّيح، زلزلهـا
ولا يَدُ الموج مـــهـــمـــا ثـار بركـــانا

وكم أراد العـــدا إضـلالهـــا عـبـــثًـا
وحـاولـوا خـرقـهـــا بالعنف أزمـــانا

واها! أتُخْـرق والرَّحـــمن صـانعـهـا؟
والله حـارسـهـا مـن كل من خـانا؟!

أم هل تضلُّ سـفـيـن «بيت إبرتهـا»[1]
وحي من اللـه يهـدي كل حـــيـرانا؟!

أم كـــيف لا تصل الشطـئـان باخـــرة
ربَّانهـــا خـــيـر خلـق الله إنســـانا؟!

***

(١) بيت الإبرة: البوصلة.

تـلك الـروايـة والهـــــفي ممـثلـة
في العـــالم اليـــوم في بلـدانه الآنا
إن يختلف الاسمُ[١] فالموضوعُ متَّحدٌ
مـهـمـا تَـلَوَّنت الأشـخـاصُ ألوانا
فـالنَّاس قـد تَخـذوا الأهواء آلهـة
إن كـان قـد تخـذ الماضـون أوثانا
الشَّـعب يعـبـد قُـوَّادًا تضلِّله
كـمـا يضلِّـل ذو الإفـلاس صـبـيـانا
والحـاكـمـون غـدا الكرسـيُّ ربَّهم
يقـدِّمـون له الأوطان قـربـانا
إن مـاتت الفـرس فـالرُّوسـيـا تمثِّلهـا
أمـا سـتالـين فهـو اليـوم كِسـرانا[٢]
وإن تُزل دولة الرُّومـان فـالتـمـسـوا
في الإنجليـز وفي الأمـريك رومـانا

(١) الهمزة في (الاسم) همزة وصل كما هو معروف.
(٢) كسرانا: أي كسرى عالمنا اليوم، فالأسماء القديمة زالت والمسمى باق.

وإن يمت قيصر فانظر لصورته
في شخص آتلي ومولاه ترومانا
سياسة الكلِّ أن يبقى الورى سمكًا
وأن يكونوا هُمو في البحر حيتانا

***

يا خيْر من ربَّتِ الأبطالَ بعثُتهُ[1]
ومن بَنَى بهمو للحقِّ أركانا
خلَّفت جيلاً من الأصحاب سيرتهم
تضوع بين الورى رَوْحًا وريحانا
كانت فتوحُه مو براً ومرحمة
كانت سياستهم عدلاً وإحسانا
لم يعرفوا الدِّينَ أورادًا ومسبحة
بل أُشربوا الدِّينَ محرابًا وميدانا
فقل لمن ظنَّ أنَّ الدينَ منفصلٌ
عن السياسة: خذ يا غرُّ برهانا

(١) أى بعثة الرسول ﷺ ربت الصحابة الكرام.

هل كان أحمد يومًا حِلْسَ صومعة؟
أو كان أصحابُه في الدَّيْر رهبانا؟
هل كان غيرُ كتاب الله مرجعَهم؟
أو كان غيرُ رسول الله سلطانا؟
لا بل مضى الدِّينُ دستورًا لدولتهم
وأصبح الدينُ للأشخاص ميزانا
يرضى النَّبي أبا بكر لدينهمو
فيعلن الجمع: نرضاه لدنيانا

***

يا سيِّدَ الرُّسْلِ طِبْ نفسًا بطائفة
باعوا إلى الله أرواحًا وأبدانًا[1]
قادوا السَّفين فما ضلُّوا ولا اضطربت
وكيف لا! وقد اختاروك ربَّانا؟!
أعطوا ضريبتَهم للدِّين من دمهم
والناس تزعُمُ نصرَ الدِّين مجَّانا

(١) يشير الشاعر إلى جنود الحركة الإسلامية.

أعطوا ضريبتَهم صبرًا على محنٍ
صاغت بلالاً وعمَّارًا وسَلْمانا

عاشوا على الحبِّ أفواها وأفئدةَ
باتوا على البؤس والنَّعماء إخوانا

الله يعرفُهم أنصارَ دعوته
والناس تعرفهم للخير أعوانا

والليل يعرفهم عُبَّادَ هَجْعَتِهِ
والحرب تعرفهم في الرَّوْعِ فرسانا

دستورُهم لا فرنسا قَنَّنَتْه ولا
روما، ولكن قد اختاروه قرآنا

زعيمهم خَيرُ خلق الله لا بشرٌ
إن يُهْدَ حينًا يضلَّ القصدَ أحيانا

«الله أكبر»... مازالت هتافَهمو
لا يُسقِطون ولا يُحيون إنسانا

***

نشكو إلى الله أحـــزابا مُـــضَلِّلَة

كم أوســعــونا إشاعـــات وبهـتـــانا

مـــازال فـــينـا ألوف من أبي لـهب

يؤذون أهل الـهـدى بـغـــيـا ونـكرانا

مـازال لابن سـلول شـيـعـة كـــثـروا

أضـحى النفـاق لهـم وسـمًـا وعنوانا

ياربّ إنَّا ظُـلمنا، فـــانتـــصـــر، وأنر

طريـقنا، واحْـــــبنـا بالحـقِّ سلطـانا

نشكـو إليك حكـومـــات تكيـــدُ لنا

كـيـدًا، وتفـتح للسكسـون أحـضـانا

تبـــــيح للَّـهـــو حـــانات وأنـدية

تؤوي ذوي العـــهـر شـرابا ومـــجـانا

فـمـا لِـدُورِ الهـدى تبـقَى مـــغلَّقـةً؟

يُمـسي فَـتَـاها غـــريبَ الدار حـيـرانا

يارب نصرك، فالطاغوت أشعلها
حربًا على الدين إلحادًا وكفرانا

***

يا قوم قد أيَّد التاريخ حُجَّتنا
وحصحص الحقُّ للمستبصر الآنا
إنَّا أقمنا على إخلاص دعوتنا
وصِدْقِها ألفَ برهانٍ وبرهانا
لقد نفَوْنا فقلنا: الماءُ أين جرى
يحيي الموات ويَروِي كلَّ ظمآنا
قالوا: إلى السّجن، قلنا: شعبةٌ فتحَتْ
ليَجْمَعونا بها في الله إخوانا
قالوا: إلى الطور، قلنا: ذاك مؤتمرٌ
فيه نقررُ ما يخشاه أعدانا!
فهو المُصَلَّى نُزَكِّي فيه أنفسنا
وهو المصيف نقوِّي فيه أبدانا

مـعـسكرٌ صـاغنا جنداً لمعـركـة
ومـعـهـدٌ زادنـا للحقِّ تبـيـانا
من حـرَّمـوا الجـمع مـنَّا فـوق أربعـة
ضـمُّـوا الألوف بغـاب الطور أُسـدانا!
رامـوه منفـىً وتضـيـيـقًـا، فكان لنا
بنعـمـة الحبِّ والإيمـان بـسـتـانا!
هذا هـو الطور شـاءوا أن نـذوب به
وشـاء ربُّك أن نزداد إيـمـانا

●●●

القصيدة الرابعة

دمعة وفاء

هذه القصيدة في الرثاء.. نظمها الشاعر عام ١٩٥٠م في رثاء الأخ المجاهد زكي الدين أبو طه.. وكان هذا الأخ قدوة حسنة في أفعاله وأقواله، وكان من الدعاة المخلصين.. بذل الكثير لدعوته وأوذي وصبر ودخل السجن عام ١٩٤٩م.. وبعد خروجه منه انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ١٩٥٠م.

نشرت هذه القصيدة بتاريخ ٢٢ أغسطس عام ١٩٥٠م بمجلة المباحث القضائية التي كانت تصدر في القاهرة.

وتبلغ أبيات القصيدة اثنين وعشرين بيتًا.

دمعة وفاء[1]

أبكي، وهل يشفي البكاءُ غليلا؟
وقد انتوى عنَّا الحبيب رحيلا
أبكي، وليس من البُكا بُدٌّ، وإن
كان المصابُ على القلوب جليلا
أبكي، على غصن نما في روضة
للحقِّ أذبله المنون ذبولا
أبكي، على نجم أنار ضياؤُه
دهرًا وأسرع للمغيب أفولا
أبكي، فتًى فوق الثّريّا نفسه
يلقى الممات ولا يعيش ذليلا
أبكي فتى صلبًا تكاد تخاله
عُمَرًا، يخيف ولا يخاف قبيلا

(١) مجلة المباحث القضائية بالقاهرة بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٥٠م.

أبكي، فتى إن ثار للحق انتضى

عزمًا يفلُّ الصّارمَ المسلولا

أبكي فتى كان الجميع يعدُّه

رجلاً، وإن كان الرِّجال قليلا

***

صعبٌ علينا أن نرى بدرًا هوى

ونرى التراب على سناه مهيلا

صعب بأن نجد الذي حمل الهدى

أمسى على أعناقنا محمولا

صعب علينا أن يباعد بيننا

هذا التراب فلا نراه طويلا

يا من ضربت لنا المثال مُضحِّيًا

وأريتنا صور الجهاد الأولى

فحييتَ في ظلِّ العقيدة ثابتًا

وأبيت إلا أن تموتَ أصيلا

قـــد كـــان آخـــرَ مـــا نطَقْتَ بذكـــره

«اللـه أكـــبـــــر» رُتِّلَـتْ ترتيـــــلا

ألقَـوْك في ظُلَم الســُّجـون وظُلْمـهـا

فـــأضـــأت في ظُـلُمـــاتِهـــا قـنديلا

وصـبـرت صـــبـرَ الأنبـيـاء كـــأنَّمـا

تلقـى ثبـــاتَـك من يدَيْ جـبـــريلا

يا مـــؤمنا كـــانت حـــيـــاتك قـــدوةً

ســـتـظلُّ روحك في الـطريق دليـــلا

نم يـازكيَّ الـدِّيـن إنك خـــــــالـدٌ

مـــا كـــان ذكـــرك يا أخـي ليـــزولا

نم يا شـهـيـد الحق مـسـرورًا، فـقـد

كـــان المـنامُ لديك قـــبل ثقـــيـــلا

وانْعم بلـقـيـاك الرســـول مـحـــمـدًا

وبوجـــه ربِّك راضـــيًـــا مـقـبـــولا

وإذا لقـــيت إمـــامك البَـنَّا فـــلا

تنس السَّـــلام عليـــه والتـــقـــبـيـــلا

أبـلغـــــه أن جـنوده بـعـــــرينـه

لن يتـــركـــوه وإن لقـــوا عـــزريلا

●●●

القصيدة الخامسة

أنـا والشـعر

نظم الشاعر هذه القـصيدة عام ١٩٥٠م..
وبيَّن فيها نظرته إلى الشعر ورأيه فيه..

وتم نشـرها في مجلة المـباحث القـضائيـة بالقاهرة بتاريخ ٢٧/٦/ ١٩٥٠م.

وتبلغ أبيات القصيدة تسعة وعشرين بيتًا.

أنا والشعر(١)

أريد له هـجـرًا فـيـغلبني حُـبِّي
وأنـوي ولكـن لا يـطاوعـنـي قـلبـي
وكـيف أطيق الصَّـبـر عنه وإنَّمـا
أرى الشِّـعر لـلوجدان كـالماء للعـشب
فكم شـدَّ من عزم، وبـصّر من عـمًى
وأيقـظ من نوم، وذلَّل مـن صـعب

***

لقـد بغَّضت لي الشِّـعـرَ في مصـر ثُلَّةٌ
يبـيـعـونه بـالمال للبـغي والـنَّهب
فكم سـافـح قـد لقَّـبـوه بفـاتح
وكم مـسرف سـمُّـوه ذا الكرم الرَّحب

(١) المباحث القضائية بالقاهرة بتاريخ ٢٧/٦/ ١٩٥٠.

وكم فـاجـر باغٍ مـشـوا في ركـابه
وسـمُّـوه ليـثًـا وهو أدنـأ من كلب
وكم ولغت فـي حـرمـة النَّاس كـفُّـه
فغطَّـو عليها كـالخضـاب على الشَّيْب
إذا كـان هذا ديدن الشِّـعـر في الورى
فـما هو إلا السُّمُّ فـي المشرب العـذب

***

وثلَّة سـوء ظنَّت الشِّـعـرَ مـعـدنًا
يصـاغُ بجَـهْد كـالنُّحـاس وكـالصُّلبِ
فـجـاءوا به وزنًا أجـفَّ من الصَّـفـا
وأثقل من هجـرٍ على مُـهـجـةِ الصَّبِّ
لئن نحـتـوه كـالتَّـمـاثيل هيـئـة
فـمن لهمـو بالرُّوحِ، والرُّوحُ من ربِّي؟

***

وشـرذمـةٌ أخرى سَـبَى اليـأسُ قلبَـهم

ولليـأس جندٌ كم يُمـيتُ وكم يَسْـبي!

إذا عـرضـوا للشَّـعبِ قـال قـنوطُهم

عليلٌ قـد استـعـصَى على نُطُسِ الطِّب

نَسُـوا مـا به من مـكرمـاتٍ كـوامنٍ

كمونَ اللَّظى في الفحم والتِّبر في التُّرب

لكَ الله شـعـبًـا سـامـه جـمع قِلَّةٍ

فيـالَكَ من جمعٍ، ويالك مـن شعب!

يريقُ دمـاه المـتـرفـون لـينعـمـوا

بهـا خـمرةً تحـلو على اللَّهـوِ واللَّعب

يسـيـغـونه لحـمًـا، فـإذ مـا تمتَّـعـوا

رمـوه عظامًـا كاد يقـضي لهـا نحـبي

يسـاقُ إلى مـا يشـتـهـون كـأنه

قطـيع، وويـل للقـطيـع من الـذئب!

***

وطائفةٌ أخرى أطاعوا هواهمو

فجازوا إلى اللَّذات دربًا إلى درب

يقولون: ليس المرءُ إلاَّ فؤادَه

وكيف يعيشُ المرءُ جسمًا بلا قلب؟!

فغاصوا به في الغيد والحبّ والهوى

كأن لم يكن في القلب معنى سوى الحب!

إذا لم يكن في القلب دين وهمة

وبغض لطغيان فما هو بالقلب!

***

عجبت لهم قالوا: تماديت في المنى

وفي المثل العليا، وفي المرتقى الصَّعب

فأقْصر ولا تُجهد يراعَك، إنما

ستبذر حَبّاً في ثرًى ليس بالخِصب

فقلتُ لهم: مهلاً فما اليأسُ شيمتي

سأبذر حبِّي، والثِّمار من الرَّبِّ

إذا أنا أبـلغت الـرِّسـالة جـاهدًا

ولم أجدِ السَّـمعَ المجيبَ، فـما ذنبي؟!

***

وقـفتُـك يا شعـري على الحقِّ وحـدَه

فـإ لم أنل إلاَّه قلـتُ لهم: حـسـبي!

وإن قـال غرٌّ: ثروتي، قلتُ: دعـوتي

وإن قـال لي: حزبي، أقـول له: ربي!

فعش كـوكبًا يا شـعرُ يهـدي إلى العلا

وينقضُّ رجـمًـا للشـياطين كـالشُـهْب

●●●

القصيدة السادسة
مَلْحَمَة الابتلاء
الملحمة النونية

ملحمة أُلِّفت داخل السجن الحربي في القاهرة عام ١٩٥٥م.. وهي تحكي قصة سجين قضى نحو عشرين شهراً في سنوات ٥٤، ٥٥، ١٩٥٦م في السجن الحربي... إنها تصوير بسيط لبعض ما قاساه المسلمون الذين عُذِّبوا في هذا السجن الرهيب..

وحقّاً إنها لملحمة، بل هي أحق بصفة الملحمة من كثير من الطوال التي يسميها أصحابها ملاحم.. إنها سجل حي للصراع الرهيب الذي شهدته مصر في ظل طغمة السجن الحربي.. يُصوِّر بالحروف وقائع لا تستطيع الأيام أن تذهب بجدَّتها، وقد ضاعف من قيمتها الفنية ما تحتفظ به من حرارة لاذعة يحس القارئ تحت لفحها أنه

يشم رائحة المأساة، ويشارك الشاعر المُعاني آلامه المريرة.

هذه القصيدة وأمثالها سجلت بأمانة ودقة جزءًا أسود من جرائم الطاغوت ضد الحركة الإسلامية، وذكَّرت المسلمين بأولئك الأحرار الذين يقاسون مُرَّ العذاب من أجل الإسلام، والذين كادوا يصدِّقون فيهم كل ما تقذفه أقنية الإعلام الكاذب من مفتريات وأباطيل.

لقد ألَّف الشاعر هذه القصيدة في ظروف عصيبة داخل السجن الحربي، حيث لم يكن يسمح لأي معتقل بأن يبقى معه ورقة أو قلمًا... ولهذا كان الاعتماد في تسجيلها عقب تأليفها على حفظ الصدور، لا على كتابة السطور... فقد حفظها عدد كبير من الشباب داخل السجن فكانوا لها رواة.. ونقلها بعضهم خارج مصر بعد مغادرة السجن.

وقد تم نشر قسم منها في كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث».. واليوم ننشرها كاملة في هذا الديوان، وعدد أبياتها ثلاثمائة وبضعة عشر بيتًا.

مَلْحَمَة الابتلاء

أو النونية!

ثار القـــريض بخـــاطري فـــدعـــوني
أفـضي لكـم بفـجـائعي وشـــجـوني
فـالشِّعـر دمعي حـين يعصـرني الأسى
والشـعـــر عـودي يوم عـــزف لحـوني
كم قـال صـحـبي: أين غـرُّ قـصـائد
تشـــجى القلوبَ بلـحنهـا المحـــزون؟
وتخلـدُ الذكـــرى الأليـــمـــة للورى
تتلـى على الأجـيـــال بعـــد قـــرون
مـا حـيلتي والـشـعـرُ فـيضُ خـواطرٍ
مـــا دمتُ أبغـــيـــه ولا يبـــغـــيني؟!
واليـــومَ عـــاودني المـلاكُ فـــهـــزَّني
طربًـا إلى الإنشـــــاد والتـلحـــــين

أُلهمتُها عصماء تنْبُع من دمي

ويُمِدُّها قلبي وماءُ عيوني

نونيةً والنونُ تحلو في فمي

أبدًا فكدتُ يقال لي: «ذو النون»

صوَّرتُ فيها ما استطعت بريشتي

وتركتُ للأيام ما يعييني

ما همتُ فيها بالخيال، فإن لي

بغرائب الأحداثِ ما يغنيني

أحداثِ عهد عصابة حكموا بني

مصرٍ بلا خُلقٍ ولا قانون

أنست مظالمهُم مظالم من خَلَوْا

حتى ترحَّمنا على «نيرون»!

حَسِبوا الزَّمانَ أصمَّ أعمى عنهمو

قد نوَّموه بخطبة وطنين

ويراعةُ التاريخِ تسخرُ منهمو
وتقومُ بالتسجيل والتدوين
وكفي بربِّك للخليقةِ محصيًا
في لوحِه وكتابه المكنون

***

يا سائلي عن قصتي، اسمع، إنها
قصصٌ من الأهوال ذاتُ شجون
أمسكْ بقلبِك أن يطيرَ مفزَّعًا
وتولَّ عن دنياك حتى حين
فالهول عاتٍ والحقائق مرةٌ
تسمو على التصويرِ والتبيين
والخطبُ ليس بخطب مصرٍ وحدَها
بل خطبُ هذا المشرِق المسكين
في ليلة ليلاءَ من نوفمبرٍ
فُزِّعْتُ من نومي لصوتِ رنين

فـإذا «كـلابُ الصـيـدِ» تهـجمُ بغـتـةً

وتحـــوطنـي عن يســـرة ويـمـــين

فـــتـــخـطَّفـــوني من ذويَّ وأقـــبلوا

فـرحًـــا بصـيـدٍ للطغـــاة ســمـــين

وعـزلتُ عن بصـرِ الحيـاة وسـمْـعِهـا

وقـذفتُ فـي قـفصِ العـــذابِ الهـون

في ساحـة «الحربي»[1] حسبُكَ بـاسْمِهِ

من باعـثٍ للرُّعب قـــد طرحـــوني

---

(١) السجن الحربي: سجن عسكري بناه الإنجليز في عهد الاحتلال، ليودع فيه الجنود الذين يخالفون القوانين العسكرية. وهذا السجن هو في الواقع مجموعة سجون أو أقسام. في كل قسم عدد من الزنازين بعضها يبلغ المئات، والزنزانة غرفة ضيقة محكمة ليس بها إلا نافذة صغيرة عالية قرب السقف وهي مطلية بطلاء قاتم. وقد أعدت لتكون سجنًا انفراديًا.. ولكن كثرة المعتقلين الهائلة جعلت جنود الطغيان يودعون في الزنزانة الواحدة سبعة أو ثمانية بل عشرة في بعض الأحيان.. هذا بالإضافة إلى سجون القلعة وقرة ميدان وطرة والقناة والواحات وغيرها... وقد أصبح السجن الحربي بين هذه السجون علمًا على التعذيب الوحشي، حتى أصبح مجرد ذكر اسمه يثير الرُّعب. وعلى أرضه قتل العشرات من المعذبين... وأخيرًا وبعد أن أخذ القضاء في مصر شيئًا من الحرية أصدرت محكمة جنوب القاهرة في قضية واحدة من قضايا التعذيب بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٧٥م مجموعة أحكام.. فقد قررت المحكمة تعويض المستشار علي جريشة بمبلغ=

ما كدتُ أدخلُ بابَه حتى رأت

عيناي ما لم تحتسبْه ظنوني

= ثلاثين ألف جنيه... يدفعها شمس بدران وزير الحربية السابق، وورثة حمزة البسيوني قائد السجن الحربي، وورثة اللواء سعد زغلول عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية، والعقيد حسن خليل والرائد حسن كفافي والملازم أشرف صفوت الروبي.

وطالبت المحكمة رئيس الجمهورية بهدم السجن الحربي باعتباره شاهدًا على إذلال الشعب وتعذيب أبنائه، واعتبرت المحكمة هذه الأحكام بلاغًا إلى المدعي العام ضد أربعة وزراء عدل سابقين وهم: بدوي حمودة، وعصام الدين حسونة، ومحمد أبو نصير، ومصطفي كامل إسماعيل.. بتهمة التواطؤ والتستر على جرائم التعذيب والإذلال. وأعلن القضاء براءة البلاد من كل من ساهم في إذلال الشعب وتعذيب أفراده بصورة أو بأخرى.

ومازالت قضايا التعذيب والقتل التي تمت في السجن الرهيب تعرض على القضاء من حين لآخر وتصدر فيها إدانات قضائية لعصر الإرهاب.. ومن هذه الإدانات التي صدرت عام ١٩٨٤م:

أصدرت محكمة استئناف القاهرة حكمًا تاريخيًا ألزمت فيه وزير الدفاع بدفع ٨٩ ألف جنيه تعويضًا لأسرة مواطن مصري من قرية كمشيش، مات في السجن الحربي، من أثر التعذيب الوحشي، الذي تعرض له.. وقضت المحكمة برفض كل الدفوع التي تقدم بها وزير الدفاع بعد أن استمعت إلى الشهود الذين عاصروا عمليات التعذيب الوحشية داخل السجن الحربي، كما تبين لها أن رجال المباحث العسكرية في ذلك الوقت قد اقتسموا أموال المواطن المصري ومواشيه وأثاث بيته ووزعوه على أنفسهم بعد أن اطمأنوا لوفاته!!. ووجهت المحكمة في حيثيات الحكم نداء إلى الرئيس محمد حسني مبارك لكي يأمر بهدم السجن الحربي فورًا.. وإزالته من فوق أرض مصر بعد أن ارتكبت فيه أحداث وحشية مزقت كرامة الإنسان المصري.. وأكدت المحكمة: أن وجود السجن الحربي حتى الآن يعدُّ عارًا مشينًا على كل مصر.. يشهد على إذلال شعبها، وعلى=

في كـل شـبـــرٍ للعـــذابِ منـاظرٌ

يندى لـهـــا - والله - كلُّ جـــبـــين

فـتـرى العـســاكـــرَ والكلابَ مـعـدَّةً

للـنهشِ طوعَ الـقـــائدِ المفـــتـــون

هذي تـعضُّ بنابِـهـــا وزمـــيلُهـــا

يعـــــدو عليـك بســـــوطِه المسـنون

ومـــضت عـليَّ دقـائقٌ وكـــأنهـــا

ممـا لقـــــيتُ بهـن بـضعُ سـنيـن

يا ليت شـعري مـا دهانِ؟ وما جـرى؟

لازلت حـــيّـــاً أم لقـــيتُ منـوني؟

عـجـــبًـا!! أسـجن ذاك أم هـو غـابةٌ

برزت كـــواســـرُها جـــيـــاعَ بطون؟

= انتهاك كرامـتها، وقالت: إن مصر لن تستردَّ كـرامتها ولن يعود إليها كبـرياؤها وإشراقها مادام السجن الحـربي جاثمًا على صدرها يـعيِّرها ويهدِّدها بعـودة أيام مريرة وسوداء.. مازالت محفورة في نفس كل مصري.

أأرى بـناءً أم أرى شِـــــــقَّى رحًـى

جـــبـــارةٍ للـمـــؤمـنين طَحـــون؟

واهًـا!! أفـي حُـلُـمٍ أنـــا أم يـقـظـةٍ

أم تلك دارُ خـــيـــالةٍ وفـــتـــون؟!

لا.. لا أشك.. هي الحـقيـقـةُ حيـة

أأشكُّ فـي ذاتي وعـــيـنِ يقـــيـني؟!

هذي مـقـدمـةُ الكـتـابِ، فكيف مـا

تحوي الفـصولُ السـودُ من مضـمون؟!

***

هذا هـو «الحـــربيُّ» مـــعـــقـلُ ثورةٍ

تدعـــو إلـى التـــحـــريرِ والتـكوين!

فـــيـــــه زبانيـــةٌ أُعـــــدُّوا للأذى

وتخـــصـــصـــوا فـي فَنِّه الملـعـــون

مـــتـبلّدون.. عـــقـولُـهم بأكُـفِّـــهم

وأكُـــفُّـــــهم للـشـــرِ ذاتُ حنـين

لا فـــرق بينهـــمـو وبيـن سيـــاطِهم

كـلٌّ أداةٌ في يـدي مـــــأفـــــون!

يتلـقـــفـــون القـــادمـــين كـــأنهم

عـــثـــروا عـلى كنز لـديك ثمـــين

بالرجل.. بالكرباج.. باليد.. بالعصا

وبكـل أسلـوبٍ خـــــســـيسٍ دون

لا يقـــــدرون مـــــفـكرًا ولـو أنه

في عـــقل ســقـــراطٍ وأفـــلاطون

لا يعـــــبـــأُون بـصـــالح ولـو أنه

في زهـد عـــيـــسى أو تقـى هارون

لا يرحـــمـون الشـــيخَ وهو مـــحطمٌ

والظهـــرُ منه تراه كـــالـعُـرجـــون

لا يشـــفـــقـــون على المريـض وطالما

زادوا أذاه بـقـــــســـــوة وجنـون

كم عـــالمٍ ذى هيـــبـــةٍ وعـــمـــامـــةٍ

وطِئـــوا عـــمـــامـتَـــه بكل مـجـــون

لو لم تكن بـيـضـاء مـا عـبـثـوا بهـا

لـكـنَّـهـــــــا هـانت هـوانَ الديـن!

وكـــبـــيـــر قـــومٍ زيَّـنتـــه لحـيـــةٌ

أغـــرتـــهـــمـــــو بالسَّبِّ والـتلعـــين

قـالوا له: انتـفـهـا - بكل وقـاحـةٍ -

لم يـعـــبـــأوا بسنـينه الســـتـــين

فـــــإذا تقـــــاعس أو أبَـى يا ويـله

مما يـلاقي مـن أذًى وفـــتـــــون!!

أترى أولـئك يـنتـــــــمـــــون لآدمٍ؟

أم هم مـــــلاعـــينٌ بـنو مـــعـلون؟!

تالـله أين الادمـــيـــةُ مـنهـمـــــو؟

من مـثل مـحـمـــودٍ، ومن ياسـين؟!

من جـــودةٍ أو من ديابَ ومـــصـطفى

وحـــــمـــادةٍ وعطـيـــةٍ وأمـــين؟[١]

لا تحـسـبوهم مـسلمـين من اسـمـهم

لا دين فـــيـــهم غـــيـرُ سـبِّ الدين!

لا دينَ يردع.. لا ضـمـيرَ مـحـاسبٌ

لا خـوفَ شـعبٍ.. لا حـمى قـانون

من ظَـنَّ قـــانـونًا هـناك فـــــإنما

قـانوننا هو «حـــمـزة البـسـيـوني»[٢]

---

(١) هذه أسماء بعض زبـانية العذاب في السجون الحـربية في سنوات ٥٤، ٥٥، ١٩٥٦م، وقد كانوا يخـتـارون من الجنود الفسقـة القساة المعروفـين بميولهم الإجرامية ثم يحشون رؤوسهم بمعلومـات كاذبة عن الإخوان.. ويغـرونهم بمكافآت ماليـة باهظة، وعلاوات استثنائـية سميت «علاوة إجـرام» وكلما زاد أحدهم في إجرامـه ووحشيته انهـالت عليه التـرقـيات والعـلاوات والمكافـآت ومع هذا هناك مـنهم من تأثر بالإخـوان وتاب على أيديهم.

(٢) حمزة البسـيـوني ضابط كان برتبة مقدم «بكباش» عام ١٩٥٤ وهو قـائد السجون الحربية حينذاك وبقي قائدًا لها في هذه المحنة (١٩٦٥) هذا الضابط المأفون يحمل في صدره قلب وحش، وفي يده كرباج جـلاد، وبين فكيه لسان «شرشـوح» لا دين له، ولا خلق، قال مرة للإخوان: هاتوا لى ربكم وأنا أحطه في زنزانـة!! لعنه الله. والجدير بالذكر أنه طرد من الجيش في مطلع الثورة أيام حـملات التطهير، ثم أعاده الرئيس خصيـصًا لتعذيب=

جـــلادُ ثورتِهم وســـوطُ عـــذابـهم
ســـمَّـــوْه زورًا قـــائـدًا لســـجـــون!
وجـــه عـبـــوس قـــمطريـر حـاقـــد
مـــســـتكبـرُ القَـــسَـمـات والعِـــرْنين
في خـــــده شجٌّ ترى مـن خلـفـــه
نفـــسًـــا مـــعـــقّـــدةً وقلـبَ لعـــين
مـــتـــعطشٍ للـــسـوء، فـي الدم والغِ
في الشـــر منقـــوعٍ، به مـــعـــجـــون

***

هذا هـو الحـــربـي مـــعـــقـل ثورة
تدعـــو إلى التطوير والتـــحـــسـين!!
هو صورة صُـغْرى استُعـيرت من لظى
في ضـيـــقـهـــا وعـذابهـا الملعـون

= الإخوان ولقد لقي حمزة البسيوني بعض جزائه في الدنيا.. فقد أماته الله شرَّ ميتة.. حيث صدم بسيارته شاحنة كبيرة من الخلف محملة بأسياخ الحديد.. فدخلت الأسياخ في جسمه وأخذ يصيح ولا منقذ.. واجتمع الناس من حوله في طريق القاهرة - الإسكندرية وهم ينظرون إليه ويقولون: هذا جزاء الظالمين.. إن الله يُمهل ولا يُهمل.

هو مـــصنعٌ للـهـــول كم أهـدى لنا

صـــورًا تـذكـــرنـا بيـــوم الـدين

هو فـــتنة في الـدين لولا نفـــحـــة

من فـــيـض إيمـــان وبرد يـقـــين

***

قل للعـــواذل إن رمـــيـتـم مـصـــرَنا

بتـــخّـلفِ التـــصـنيع والتـــعـــدين

مـصـرُ الحـديثـة قـد عـلت وتقـدمت

في صنعـــة التـعـذيب والتـــقـرين!!

وتفنـنت - كى لا يمـل مـــعـــذب -

في العـــرض والإخـــراج والتـلوين!!

أســـمـــعت بالإنســـان ينفخ بـطنه

حـــتى يرى في هيـــئـة «البـــالون»؟!

أسـمـــعت بالإنسـان يضـــغط رأسـه

بالـطوق حـــتـى ينـتـــهي لجـنون!

أسـمـعت بالإنسـان يشـعل جـسـمـه

نارًا وقـد صـبـغـوه «بالفـزلين»؟

أسـمـعت مـا يلقى الـبـريء ويصطلي

حـتى يقـول: أنـا المسيء.. خـذوني!

أسـمـعت بالآهات تخـتـرق الدجى

رباه عـدلـك.. إنهم قـتلـوني!!

إن كنت لم تسـمعْ فـسل عـما جـرى

مـثلي.. ولا يـنبـيك مـثلُ سـجـين

واسـألْ ثرى «الحـربيِّ» أو جـدرانَه

كم من كـسـيـر فـيـه أو مطعـون!؟

وسلِ السـيـاطَ السودَ كم شـربت دمًـا

حـتى غـدت حـمـرًا بلا تـلوين!

وسل «العـروسـةَ» قُـبِّـحَتْ من عـاهر

كم مـن جـريحٍ عنـدها وطعـين

كم فـتـيـةٍ زُفُّـوا إليـهـا عنوةً!

سـقطوا من التـعـذيب والتـوهين

واسـأل «زنـازينَ» الجليـد تجـبك عن

فنِّ العـذاب، وصنعـةِ التلقـين

بالنـار أو بالزمـهـريـر.. فـتـلك في

حـين، وهـذا الزمـهـرير بـحـين

يُلقـى الفـتـى فـيـه لـيـاليَ عـاريا

أو شـبـهَ عـارٍ في شـتـا (كـانون)

وهناك يُمْلَى الاعـتـرافُ كـما اشـتهَـوْا

أَوْ لا.. فـويلَ مـخـالفٍ وحَـرون

وسل «المقـطَّمَ» وهو أعـدلُ شـاهد

كم من شـهـيـد فـي التـلال دفـين[1]

---

(١) يظن بعض الناس أن شهداء الإخوان الذين قتلهم الظالمون هم الستة الذين شنقوا علنا بحكم المحكمة الهزلية التي سميت زوراً «محكمة الشعب» والحقيقة أن شهداء الإسلام الذين قتلوا في العهد الناصري في مصر كثيرون جداً. يكفي أن تضيف إليهم ٢٤ شهيداً أطلقت عليهم المدافع الرشاشة داخل سجن ليمان طرة مع أنهم سجناء. =

قـتلـتـه طُغـمـــةُ مـصـرَ أبشعَ قِـــتلةٍ

لا بالـرصـــــاصِ ولا الـقنـا المسـنون

بل علـقـــوه كـالـذبيـحـــة هُيـئت

للـقطع والتـــمـــزيـق بالسكـين..

وتهـــجـــدوا فـيـــه ليـــالـيَ كلُّهـــا

جَـلَدٌ، وهـم في الجـلد أهـل فنـون!

فـإذا السـيـاط عـجـزن عن إنـطاقـه

فـالكـي بالنيـران خـيـرُ ضـمـين!!

ومـضت لـيـالٍ والعـذاب مـســجّـر

لفـــتى بـأيدي المجـرمـــين رهـين

لم يعـبـــأوا بجـراحـــه وصـــديدها

لم يـســـمـــعـــوا لتـــأوه وأنـين

= والتحقيقات التي أجريت في السجن أدت إلى مقتل خمسة وتسعين من الإخوان تحت سياط الزبانية المتوحشين وأدوات التعذيب وأساليبه التي نقلوها من خبراء النازية والشيوعية... ومن هؤلاء الذين سقطوا صرعى العذاب: محمود يونس، حسين شعبان، والشيخ محمد الديب، ومحمد عطوة، وعلى الخولي، ومحمود أبو الخير وغيرهم.

قالوا: اعترف أو مت.. فأنت مخير!!

فـــأبى الفـــتى إلا اخـــتـــيـــارَ منون

وجـرى الدمُ الدفاقُ يَسْطُرُ فى الثـرى:

يا إخـوتي استـشهـدتُ فـاحتـسبـوني

لا تحـــــــــزنوا، إنـى لـربيَ ذاهـبٌ

أحـيـــا حـيـــاةَ الحـرِّ لا المســجـون

وامـضوا على دربِ الهـدى لا تيأسـوا

فـالـيـأس أصلُ الضـــعف والتـــوهين

قـــولوا لأمى: لا تنوحـي واصـبـــري

أنا عـند خـــــالِقـيَ الذي يهـــديـني

أنا إن حـــــرمـتُ وداعَـكـم لجِنـازتي

فـــمـــلائكُ الرحـــمن لـم يدَعـــوني

إن لم يُصـلِّ عليَّ في الأرض امـــرؤ

حـســبي صـــلاتهـــمـو بـعلِّيـين

أنا في جـــوارِ المصـطفي وصـــحـــابِه

أحـظى بـأجـــــــرٍ ليـس بالمـنـون

أنا في رُبا الـفـردوس أقـــفـزُ شـــاديًا

جـذلان كـالعـصـفـــور بين غـصـون

ولِدانُهـــا في خـــدمـــتي، وثِمـــارُها

في قـبـضـتي، ونعـيـمُـهـا يدعـوني

وإذا حـرمتُ الـعُـرسَ في الدنيـــا فلي

مـا شـئتُ فـيـهـــا من حـسـان عـين

أمـاه حـــسـبُك أن أمـــوتَ مـعـــذبًا

في اللـه لا في شـــهـــوة ومـــجـــون

مـا خنتُ دينـي أو حـمـاي، ولم أكن

يومًـــا عـلى حـــرمـــاتِـه بظنـين

فليـــســـألـوا عني «القنـاةَ» ويســـألوا

عني «الـيـهـــودَ» فـطالما خَـبَـــروني

سحقًا لجزارين كم ذبحوا فتى
مستهترين كأنه ابنُ لبون![1]!
فإذا قضى ذهبوا بجثته إلى
تل المقطم وهو غير بطين[2]
لفُّوه في ثوب الدجى وتسللوا
سارين بينَ مَغَاورٍ وحزون
وارَوْه ثم مَحَوْا معالمَ ومسهِ
فغدا كسرٍّ في الثرى مكنون
أخفوه عن عين الأنام ومادروا
أن الإله يحوطُهم بعيون
الليلُ يشهدُ والكواكبُ والثرى
وكفي بهم شهداءَ يوم الدين

***

قالوا: محاكمة، فقلت: رواية
أعطوا لمخرجها وسام فنون!

---

(١) ابن اللبون: ابن الناقة ذات اللبن وهو الذي أتم سنتين ودخل في الثالثة.
(٢) البطين: البعيد.

هي شـــر مـهـــزلة ومـأســـاة مـعًـــا

قـد أضـــحكتني مـــثل مـا تبـكيني!!

أوَعَت سـجـلات القـــضـاء قـضـيـة

كـقـضـيـــة «الإخـوان» أين؟ أروني؟

الخـــصمُ فـيـــهـــا مـدَّع ومـــحـــقٌّ

وهو الـذي يقـــــضي بـلا قـــــانون

إلا هواه.. ومـــــا يـدور برأســـــه

من خـلط سـكيـــــر ورأى أفِـــــين

أرأيت مـــحكمـــةً ترأســـهـــا امـــرؤ

يدعـــوه من عـــرفـــوه «بـالمجنون»[1]

أرأيت أحـــرارًا رَمَـــوْا بهـــمـــو لدى

قـــاض عـــديـم دينُه مـــأبون[2]

---

(١) هو البكباشي جـمال سالم الذى دخل مـستشـفي الأمراض العقليـة غير مـرة. ثم عينه فرعون مصر ليحـاكم قادة الدعوة الإسلامية أمثال حسن الهضيـبي والشهداء عبد القادر عودة ومحمـد فرغلي ويوسف طلعت وسيد قطب وقد أقصـاه فرعون بعد ذلك، ومن أعان ظالـمًا سلط عليه، سنة الله في خلقه.

(٢) المأبون: الـمُـتَّهم.

أرأيت إنســـــانًا يدان لـقـــــوله

اللـهُ ربي، والحنيـــــفـــة ديـني؟!

أو قـال: يا قـوم ارجـعـوا لـكتـابكم

طوقِ النـجـــاة لكـم، بكل يقـــين!

يا ســـوء حظ فـتـى رأوا بســجـله

شـرف الجـهاد لعـصـبـة الصهـيـون!

أو كـان يومًـــا في كـتـيـبـة فـتـيـة

شـهـرت بـنادقـهـا على الـسكسـون!

أو كـان حـافظ (آل عـــمـران) فـقـد

ظفـــروا بسلطان عـليـــه مـبـــين!

هذي الجـرائـم عند مـحكـمـة الردى

هي غُـــــرة تزهو بـأيّ جـــبـــين

والويلُ لامـــرئٍ اسـتـبـــاح لنفـســه

إظهـــــار تعـــــذيـب ودفعَ ظـنون

سـيـعـود «للحـربيِّ» يأخـذُ حظَّه

وجـزاءَه الأوفى من «البـسـيـوني»

***

أنا إن نـسـيت فلـست أنسى ليـلةً

في سـاحـةِ الحـربيِّ ذاتَ شـجـون

عـدنا المسـاءَ من المحـاكـمـةِ التي

كـانت فـصـولَ فكاهـة ومـجـون

مـا كـاد يعـرونا الكرى حـتى دعـا

داعي الردى.. وكفـاك صوتُ أمين[1]

فـتـجـمع «الإخـوانُ» ممن حـوكـمـوا

ذا اليـومَ من طنطـا إلى بسـيـون

أمـا الأولى سيـحـاكمـون فـأُحضِـروا

ليَـرْوا يـقـيـنـا ليس بـالمظـنون

---

(١) أمين السيد رقيب أول «بـاشجاويش» السـجن الحربي، كان في يده سلـطات مطلقة، ويستطيع أن يعذب إلى حد الموت، وكان يرى نفسه كأنه أحد قادة الثورة!

وإذا بقـــائدنا المظفّـرِ حـــمـــزةٌ!

في عـسكرٍ شـاكي السـلاحِ حـصـين

حـــشـد الجنودَ وصـــفَّـــهـا بمهـــارة

وكـــأنـه عـــمـــــرو بأجنـادين!!

وأحـــــاطنـا ببـنادق ومـــــدافـعٍ

فـــغـــرت لنا فَـــاهَا كَـــفِيِّ التَّـنين!!

طابورُ «تـكدير»[1] ثقـــيلٌ مـــرهق

فـي وقتِ أحـــــــــلامٍ وآنِ سكـون

نعـدو كـــمـا تعـدو الظِبـاءُ يـسـوقنا

لهبُ السـيـاطِ شكَتْ من التـسـخـين

ومـــضت علـينا ســاعـــتـــان وكـلُّنا

عـرقٌ تصـــبَّبَ مـثلَ فـيضِ عـــيـون

---

(١) التكدير: كلمـة من الكلمات المـستـخدمـة في السجن الحـربي، وهو لون من العقـوبة للمساجين بحرمانهم من الخروج من الزنزانة، ونحو ذلك. ثم استخدمت فيما هو أكثر من ذلك.

من خـــرَّ إغـمـــاءً يُفِقْ عَـجَـلاً على

ضـربـات صـوت للعـــذاب مـهـــين

ومن ارتمى في الأرضِ من شـيـخوخـةٍ

أو عـلةٍ.. داســـــوه دَوْسَ الـطيـن

لم يكـف حـمـــزةَ كلُّ مـــانُـؤْنا به

من فـــرط إعـــيـــاء ومن توهـين

فـــأتى يـوزع بالمفـــرَّق دفـــعـــه

بالسـوط مـن عـشـرين للخـمـــسين

كل يـنال نـصـــيـــبـــه بنـزاهة

في العـــد والإتقـان والتـحـــسين!!

وإذا نســـيت فلسـت أنسى خطـبـــةً

مـازال صـوتُ خطيـبِـهـــا يشـجـيني

إذ قـال حـمـزة - وهو منتـفخ - فلم

يتـــرك لفـــرعـــون ولا قـــارون:

أين الألي اصطنعوا البطولةَ وادّعَوْا

أني أعذبهم هنا بسجوني!

أظننتمو هذا يخفف عنكمو؟

كلا، فأمرُكُمُ انتهى، وسلوني؟!

أم تحسبون كلامَ ألفٍ منكمو

عنكم وعن تعذيبكم يثنيني؟!

إني هنا القانون، أعلى سلطةٍ

من ذا يحاسب سلطة القانون؟!!

متفردٌ في الحكم دون معقبٍ

من ذا يخالفُني ومن يعصيني؟!

فإذا أردتُ وهبتُكم حريةً

أوشئت ذقتم من عذابي الهون

من منكمو سامحتُه فبرحمتي

وإذا أبيتُ فذاك طوعُ يميني

ومن ابتــغى مــوتًا فــهــا عــندي له

مــــوت بلا غــسـل ولا تكفـــين!!

يا فـــارسَ الوادي وقـــائد ســجـنه

أبنو الـكنانة أم بـنو صــهــيـــون؟!

هلا ذهبتَ إلى الحــدودِ حـمـيـتَـهـا

وأريـتنـا أفـكـار نابـلـيـــــــون؟!

اذهب لـغـــــزةَ يا هـمـــــامُ وأنْسِنا

بجـــهـــادك الدامـي صـــلاحَ الدين!!

أفـعـندنا كـبش الـنِّطاح.. ونعـــجـة

في الحـرب جـمّـاءٌ بغـيـــر قـرون؟!

***

أعـــرفتَ مـــا قـــاســيتُ فـي زنزانة

كـــانت هي القـــبَـــر الذي يـؤويني؟!

لا بل ظلمتُ القـبر، فـهْو لذى التُّـقى

روضٌ، وتلك جـــحـيـمُ أهل الدِّين!

هي في الشتاءِ وبرده «ثلاجةٌ»

هي في هجير الصيف مثلُ أتون

نُلقى ثمانيةً بها أو سبعةً

متداخلين كعُلبةِ «السردين»

هي منتدانا وهي غرفُة نومنا

وهي «البوفيه» وحجرة «الصالون»

هي مسجدٌ لصلاتِنا ودعائنا

هي ساحةٌ للَّعْبِ والتمرين

وهي «الكنيف» وللضرورة حكمها

ما الذنبُ إلا ذنبُ من سجنوني

هي كلُّ مالى في الحياة فلم يعد

في الكون ما أرجوه أو يرجوني

الأرض كلُّ الأرض عندي أرضُها

أما السماءُ فسقفُها يعلوني

فـيهـا انقطَعْتُ عن الوجـود فلم أعـد

أعنيـــــه في شـيء ولا يعـنيـني..

لا أعـــرفُ الأنبـــاءَ عـن دنيـــا الورى

إلا مـن الأحـــــــلام لو تـأتـيـني!

يبكى الأقـاربُ غـيـبـةً حَسَـبـوا لهـا

شـهـريـن فـامـتـدت إلى عـــشـرين

ولـكم وَفَـيٌّ زار أهلـي ســـــــائـلا

عنـي برفـقٍ علّهـم عـــــرفـــــوني!

والأهل لا يـدرون: هل أنـا مـــــيِّتٌ

فـــقـدوه أم حيٌّ فـيـــرتقـبـــوني؟!

كم شـاعـــر فـقـد الرجـاء بـعـودتي

فـــأعـــدَّ فيَّ قـــصـــيـــدةَ التَّـــأبين

***

هذا نـصـــيـــبـي يا أخي مـن ثورة

قـد كنت أحـــسـبـهـا أتت تحـــمـيني

حظِّي بهـــا زنـزانة صـــخـــرية

ســـوداءُ مـــثلُ قلـوبِ من أســـروني

كم من لـيـالٍ بـتُّـهـا أشكـو الطَّوى

والبـــــردَ، لكـن أين من يُـشكيـني؟

هم «كـــدروني» لا طعـــام أذوقـــه

لا شيء من بـرد الشـتـــاء يقـــيني

فـإذا انقـضى التكديرُ جـاء طعـامُـهم

دكنًا كـــأفكارِ الألـي اعـــتـــقـلوني

ضـــربٌ من الـتـــعـــذيـب إلا أنَّه

لابد مـنه لـســـدِّ جـــوع بـطون

فـــفطورنا عـــدس مـــزين بالحـــصى

إن الحـصى فـرضٌ على «التعـيـين»[1]

قـد عـفـتُـه حـتى اسـمـه وحـروفـه

من عـــيـــنه أو دالِـه والسِّـــيـــن

---

(١) التعيين في السجن: هو ما عين لكل شخص من الطعام.

وغـداؤنا «فـاصـوليـــة» ضـاقت بهـا

نفـــسي، فـــرؤيةُ صـحـنِهـا تـؤذيني

وعـشـــاؤنا شيءٌ يحـيِّـرك اســمُـه

فكـأنما صـنعـــــوه مـن غِـــــسْلين

لا طعمَ فـــيـــه ولا غـــذاءَ وإنَّـمـــا

يحـلو لـنا من قـلةِ الـتـــــمـــــوين

طبقٌ يـكال لســبـعـــة أو نصـــفُـــه

وعلـيَّ أن أرضى وقـــد ظلـمـــوني

***

لو أن لي فـي جـوفـــهـــا حـــريةً

لرضـيـتُ.. لكن أين مـا يرضـــيني؟

من أجـل ضـــبـط وُريقـــةٍ أو إبرة

ولغـيـر شيء.. طالما اســتـاقـوني

وتجـمِّـعـوا حـولـى ضـواري همُّـهـا

نهـــشي.. ومـــالي حـيـلةٌ تنجـيني

إن نمتُ توقظْني السِّياطُ سريعةً

فالنومُ ليس يباح للمسجون!

وإذا تحدثنا لنذهب بالكرى

حظروا الحديثَ عليَّ كالأفيون!

وإذا شغلنا بالقراءة وقتَنا

أخذوا جميعَ الكتْب للتخزين!

وإذا تلونا في المصاحف حرموا

حملَ المصاحف وهي خير قرين[1]

---

(١) أراد فرعون وأتباعه أن يتفادوا النتائج التي أدَّت إليها معتقلات فاروق وإبراهيم عبد الهادي في سنة ١٩٤٩، فقد جعل الإخوان معتقل الطور جامعًا للعبادة، وجامعة للعلم، ونادِيًا للرياضة، ومعسكرا للتدريب، ومؤتمرًا للتعارف والتشاور، حتى قال أحد الإخوان: معتقل الطور هو المعسكر الدائم للإخوان المسلمين عام ١٩٤٩م، السفر والمصاريف والنفقات والتكاليف على حساب الحكومة المصرية!

ولكن الحكام الجدد حرَّموا في معتقلاتهم على الإخوان كل تجمع أو لقاء يتعارفون فيه ويتآلفون، بل حظروا عليهم اصطحاب الكتب ليحرموهم من الدراسة التي توضح فكرتهم وتثبتهم عليها.. بل حرموهم من المصاحف نفسها، حتى لا تكون التلاوة أنسًا لقلوبهم وزادًا لعقولهم وأرواحهم.. ولكنهم لم يستطيعوا أن يخمدوا جذوة الإيمان في صدورهم.

وإذا تسليـنا بصـنع مـــــــــابح

جـمـعـــوا المسـابح من نوى الـزيتـون

هذي سـيـاستُـهم، وتلك عـقـولهم:

عـــيـشـــوا بغـــيـر تحـــرك وسكون!

إياكـــــمـــــو أن تـشـــتكوا أو تـألموا

مـــوتـوا بغـــيـــــر توجع وأنـين!

يا ويلَ من قـــد مـسَّـــه لهبُ الظَّـمـا

فـــدعـا بلـطف للجنود: اســقـــوني

فـــهناك يُســقى المـرّ من أيديهـــمـــو

من كل مـــســعـــور عـليك حـــرون

فـالسَّـوط حـلاَّل المشـــاكل، لم يضق

يومًـــــا بطول مـــــآربٍ وشـــؤون

من راح يشكـو الجـوع فـهـــو غـذاؤه

ومن ابتـــغى ريّاً فـــأيُّ مَـعـــين!

ومن اشتكى الإسهال يجلد عشرةً

هي وصفة «الثوار» للمبطون!

ومن اشتكى وجع الصداع فمثلها

أو ضعفها بمكان «الإسبيرين»

ومن اشتكى من سكّر فبنحوها

يجد العليلُ أعزَّ «أنسولين»

هذا اكتشافُ الثورة الفذُّ الذي

فخرت به مصرٌ علي (برلين)!

يا عصبة «الباستيل» دونكمو، فلن

آسى على الإغلاق «والتأمين»[١]

سدُّوا عليّ البابَ كي أخلوُ إلى

كتُبي، فلي في الكُتْب خيرُ خَدين[٢]

وخذوا الكتابَ، فإن أنسىَ مصحفٌ

أتلوه بالترتيل والتلحين

---

(١) التأمين: مصطلح عندهم يعني إغلاق باب الزنزانة على السجين بالقفل.

(٢) الخدين: الصديق.

وخـذوا المصـاحفَ، إنَّ بينَ جـوانحي

قلبًـــا بـنور يقـــينِه يـهـــديـني

الله أســعـدني بظـلِّ عـقـيـدتي..

أفـيـــستطيـعُ الخلقُ أن يشـقـــوني؟!

***

لحـــساب من هذا الأتون مـــسجّـــر

يـلقـى له بـالفـــــحـم والبـنزيـن؟

لحـــســاب من بطشـــوا بـأطهـــرِ ثُلَّةٍ

روَّت دمـــاها أرض «فـــيلسـطين»؟

لحـسـاب مـن ضـربوا بطولة فـتـيـة

بعـــشـــوا صـــلاح الدين فـي حطين؟

لحـســاب من مكروا بإخـــوة (غـانمٍ)

وابن (المنيـسـي) والفـتى (شـاهين)[1]

---

(١) عادل غانم وأحمد المنيسي وعمر شاهين شهداء الإخوان من طلاب الجامعة في معارك القناة سنة ١٩٥١م.

لحساب من شنقوا المجاهد (يوسفًا)

و(الفرغليَّ) محاربَ السكسون[١]

لحساب من غدروا بـ (عُودةَ)[٢] جهرةً

من غير سلطان عليه مبين؟

لحساب من قتلوا وما قد شوَّهوا

من أوجه أو أظهر وبطون؟

من عذَّبوا، من شرَّدوا، من جوَّعوا

ومن استذلُّوا من ليوثِ عرين؟

ألمصر؟ كيف، ونحن صفوة جندها

في يوم حربٍ للعدو زَبون؟

---

(١) الشهيدان يوسف طلعت والشيخ محمد فرغلي من أبطال الجهاد وقادته ضد الإنجليز وضد اليهود، يعرف ذلك أهل الإسماعيلية والقناة كما يعرف ذلك أهل فلسطين. وهذا كان جزاؤهما الإعدام شنقًا!!

(٢) الشهيد عبدالقادر عودة الفقيه الإسلامي الكبير، الذي شهد له رجال الشريعة والقانون بالأصالة وسعة العلم وطول الباع. ومؤلف «التشريع الجنائي في الإسلام» وغيره من الكتب القيمة.. التي جازاه حاكم مصر عليها بالإعدام!!

أم للعـــروبة في قـــضـيـــتـهـــا التي

أغنى بهـــا الشـهـــداء عن تبـيـــيني؟

أم يا تُرى لـقـضـيـــة الإســـلام في

أوطـانِه مـن طـنجـــــــةٍ لـبكـين؟

ألمسـلمي الأحـــبـــاشِ أم لأرِتْـريا؟

من كل مـــــرتقب لـعَـــوْن مُـــعين؟

أم للألـى يُفنَوْن فـي القـــوقـــاز أو

من ذُبِّحـــوا في الهند أو فـي الصين؟

لا لا وربِّى، إنـني لأقـــــولهـــــا

بالجـــزم لا بالخـــرص والـتـــخـــمين

لحـســـــاب من هذا أتـدري يا أخي؟

لحـساب الاسـتـعـمـارِ الصـهـيـون

أرضى بنـا الطاغـــوتُ ســادتَه لـكي

يَعِـــدُوهُ بالتـــثـــبـــيت والتـــأمين

فالقومُ يخشَوْن انتفاضة ديننا

بعد الجمود وبعد نوم قرون

يخشون «يعرُبَ» أن تجود بخالد

وبكل «سعد» فاتح ميمون

يخشون «أفريقْيا» تجود بطارق

يخشون تُركيّا كنور الدين

يخشون دين الله يرجع مصدرًا

للفكر والتوجيه والتقنين

ويرون كل تكتل يدعو له

خطرًا وخصمًا ليس بالمأمون

وهنا بدا البطل الهمام منفذًا

لمخطط التبشير والماسون

ليسدِّد الضربات في عنف إلى

أقوى بناء للدعاة متين

ليـــقـــول للرقـــبـــاء: قـــرُّوا أعـــينًا

أنا باقـــتـــلاع الأسِّ جـــدُّ قـــمين[١]

وكـذاك قام «كـمـالهم»[٢] في تركـيـا

ليـطارد الإســـــــلام كـــــالمجنون

واليـــوم ســار «جـــمـــالُهـــم» في خطِّه

بتـــــدرُّج وتـخـــــابث مـلعـــــون

ذاك امـــــرؤ عـــار، وهـذا مـــاكـــرٌ

مـــــتلـوِّنٌ يحكـي أبا قـلمـــــون

***

يا مـــصـر حظك مـثل حظي عـــاثر

كم قـــد نكبت بـغـاشـم وخـئـــون!

قلنا: انقـضـى عـهـدُ الظلام وأقـبلت

مـــصـــرٌ على عـــــهـــدٍ أغـــرَّ مكين

---

(١) قمين : جدير .

(٢) «كمال أتاتورك» عدو الإسلام والمسلمين الذي تآمر على الخلافة وألغاها في تركيا عام ١٩٢٤م.. هذا العميل سار على نهجه بعض الحكام وقاموا بمحاربة الحركة الإسلامية التي تربي الشباب على الإسلام وتعمل لإعادة الخلافة إلى أرض الإسلام .

يمضـى بأمـــتنا علـى سنن الهـــدى
ويردُّهـا لتـــراثهـــا الميـــمـــون
ويعـــيـــد عـــهـــد الـراشـــدين يمدُّه
عـــزَّ الرشـــيـد ونـهـضـــة المأمـــون
أمل أضـــاء ـ كلـمـــحـــة ـ في ثورة
كنّا لـهـــا في الرَّوع خـيـــر مـــعين
فـــإذا الذي ثرنا عـلـيـــه تعـيـــده
كـــالثـور حـين يدور في الطاحـــون!
ثرنا علـى ملك، فـجـــاءوا عـشـــرةٌ!
كل يـريد المـلك غـــيـــــر رزين
وإذا رئيـــسـهـمـــو يرى في نفـســه
ملـك الملوكِ ووارث الـفـــرعُـــون
في نفـــســه ودمـــائه: «أنا ربـكم»
لا تجـــعـلوا ربّـاً لكـم من دونـي!

ثرنا عـلى الأحـــزاب في تـضليلـهـــا

للشـعب.. في تـوجـيـهـهـا اللاديني

مـــا بالهـــا رجـــعت لـنا حـــزبيـــة

عـــمـــيـــاءَ ذاتَ دعـــايةٍ وطـنين؟

تـدع البـناءَ يـكادُ يـهـــــوى ركنُـه

وتهـــــيمُ بالـتـــــزويق والتـــــزيين!

صـــحف ومـــذياعٌ وســـيلُ دعـــايةٍ

مـــتـــدفق النـشـــرات جـــدُّ هَتُـــون

خطـب توزَّعُ للعـــراة ليكـتـــســـوا

وصـــحـافـــة تُهـدى إلـى المسكين!!

أكـــداسُ أرقـــام ولـست ترى لهـــا

آثرا ســـوى عـــري وجـــوع بـطون

بـــرقٌ ولا مـــطـــرٌ، وأوراق ولا

ثمـرٌ، وجـعـجـعـةٌ بغـيـر طحين!

ثـورية هـدَّامـــــــة شـــــــريـرة

باسـم البنـاء تهـــدُّ كل حـــصين

كـــانت على الإســـلام في أوطـانه

شَـــراً من الـسكســـون والـلاتين

نصبـت مـشـانقـهـا لقـتـل دعـاته

بغـــيًـــا، بلا شـــرع ولا قـــانون

ومـضت تصبُّ عـلى الألوف عـذابهـا

من كـل ذي ثقـــة بهـــذا الـدين

سـاءت لعـمـري ثورةً مـشـئـومـةً

لم نجـن منهـــا غـــيـــرَ تـلِّ ديون

يجـري الخـرابُ وراءها أنَّى جـرت

وتقـــول بالتـطوير والتـــحـــسين!

***

يا ثـورة كنَّا حـــمـــاةَ ظـهـــورها

صـــرنا وقـود وطـيـســـهـا المجنون

قالوا : مـباركـةٌ . . وما كـانت سوى

حُـمَّى علـى الأحـرارِ أو طاعـون!

يا هـرَّة أكلت بـنيـهـا غـدرةً

قُـبِّـحت أمّـاً كنت غـيـرَ حنون!

أفـهكذا يجـزى الجـمـيل بضـدِّه

أيـن الوفـاء وأهـلـه . دلونـي؟

***

واهًا لهم، كـمـا أسـرفـوا وتحـيـروا

في وصـفنـا من يسـرة ليـمين!

قـالوا ـ ويـالضـلال مـا قـالوا ـ فكم

كـالـوا لنا تهـمـا بمحـض ظنون!

وعـزاؤنـا أن النبـي ـ فـديـتـه

بأبـي وأمي ـ كـم رُمِي بـطعـون!

من سـاحـر حـينا، لـبـاغ مـفـتـر

أو كـاهن ، أو شـاعـر مـجنون!

قـــالوا كـــذابا : دعـــوة رجـعـــيـــة

مـعـــزولة عن قـرنـهـا العـشـــرين!

الناس تـنظر للأمـــام، فـمـــا لهم

يدعـــوننا لنـعـــود قـبـل قـــرون؟

رجـــعـــيـــة أنّا نغـــارُ لديننا

ونقـــوم بـالمفـــروض والمسـنون!

رجـــعـــيـــة أنّا نصـــون حـــريمنا!

بئس الحـــريم يكون غـيـر مـــصـون!

رجـــعـــيـــة أنّا نذرنـا أنفـسًـــا

للـه تحـــيـــا، لا لعـــيش دون!

رجـــعـــيـــة أنّا نربـي جنـدنا

للحـق، لا لتـــفـــاهـة ومـــجـــون!

رجـــعـــيـــة أن الرســـول زعـــيـمنا

لسنـا الذيول لـ «مـــاركْـسٍ» و«لِنين»!

رجـعـيـة أن الجـهـاد سـبـيلنا!

نعم الجـهـاد ذريعـة التـمكين!

رجـعـيـة أن يَحْكُمَ الإسـلامُ في

شـعـبٍ يرى الإسـلامَ أعـظَم دين!

أو ليس شـرعُ اللـهِ، شـرعُ مـحـمـدٍ

أولى بـنا من شـرْعِ نابلـيـون؟!

يا رب إن تـكُ هذه رجـعـيـةً

فـاحـشُـرْنِ رجـعـيّـاً بـيـومِ الدين!

***

قل لـلذي جـعل الكـنانة كـلهـا

سـجنًا وبات الشـعب شـرَّ سـجين

يا أيـهـا المغـرور في سـلطـانه

أمـن النـضـار خلـقت أم طـين؟

يا من أسـأت لكل من قـد أحـسنوا

لك دائـنين فكـنت شـرَّ مـدين

يا ذئب غـــدر نصـبَّـوه راعـــيًـا

والذئـب لم يـك ســـاعـــة بـأمين

يا من زرعـت الشَّـــرَّ لن تجني ســوى

شـــرّ وحـــقـــد في الـصـــدور دفين

سيـزول حكمك يا ظلوم كمـا انقضت

دولٌ أولاتُ عـــســاكـر وحـــصـــون

ســتـــهـبُّ عـــاصـــفـــةٌ تـدكُّ بناءَه

دكّـــاً.. وركـنُ الظلم غـــيـــرُ ركين

مـاذا كـسـبتَ وقـد بذلت من القـوى

والمـال بـالآلاف والمـليـــــــــون؟

أرهقت أعـــصـاب البـــلاد ومـالـهـا

ورجـــالهـــا في الهـــدم لا التـكوين

وأدرت مـــعـــركـــة تأجج نـارها

مع غـيـر «جـــون بول» ولا «كـوهين»

هل عـــدت، إلا بـالهـــزيمة مـــرة

وربحت غـــيـر خـسـارة المغـبـون؟!

وحـفـــرت في كل القلوب مـــغـاورًا

تهـــوى بهـــا سُـــفْـــلاً إلى ســـجِّين

وبنـيت مـن أشـــــلائنـا وعظـامنـا

جـــــســـــــرًا بـه نرقـى لعـلِّـيـن

وصنعت بالـيـد نعشَ عـهـدك طائعًـا

ودقـــقـتَ إســـفـــينًا إلى إســـفين

أظنـنت دعـــوتَنـا تموت بضـــــربة؟

خـــابت ظنونك، فـــهي شـــرٌّ ظنون!

بليت ســـيـــاطك، والعـــزائم لم تزل

منـا كـــحـــدِّ الصـــارم المسـنون!

إنّا لعـــمـــري إن صـــمـــتنـا برهة

فـالـنار في البـــركـان ذات كـــمـون!

تاللـه مـا الطـغـيـانُ يَهـزِمُ دعـوةً

يومًـا، وفي الـتـاريـخ برٌّ يميـني

ضع في يديَّ الـقـيـد، ألهـبْ أضلعي

بالسـوطِ، ضع عنقي على السِّكِّين!

لن تستـطيع حـصـارَ فكـريَ سـاعـةً

أو نـزعَ إيمانـي ونـورِ يقـيـنـي!

فـالـنورُ في قلبي .. وقلـبيْ في يدَيْ

ربِّي .. وربِّي نـاصـري ومـعـيني!

سـأعيشُ مـعـتصـمًا بحـبل عـقيـدتي

وأمـوتُ مـبـتـسـمًـا لـيـحـيـا ديني!

***

صـبـرا أخي في مـحنتي وعـقـيـدتي

لابدَّ بـعـد الصـبـر من تمـكين

ولنا بـيـوسف أسـوة في صـبـره

وقـد ارتمى في السـجن بضـع سنين

هوِّن عـليك الأمـــر لا تعـــبـــأ به

إن الصـــعـــاب تهـــون بالتـــهـــوين

أمْسٌ مـضى، واليـومُ يسـهُلُ بالرِّضـا

وغـــدٌ ببطن الـغـــيب شـــبْـــه جنين

لا تيـــــأسـنَّ من الزمـــــان وأهـله

وتقل مـــقـــالـة قـانط وحـــزين..

شـــاةٌ أســـمِّـــنُهـــا لذئب غـــادر

يا ضـــيـعـــةَ الإعـــداد والتـســـمين!

فـــعلـيك بذرُ الحـبِّ لا قطفُ الجَـنَى

واللـه للسْـــاعين خـــيـــرُ مُـــعين

سنعـــودُ للدُّنـيـا نُـطِبُّ جـراحَـهـــا

سنعـــودُ لـلتكبـــيـــر والتـــأذين

ستـــسـيـــرُ فُلْكُ الحقِّ تحـــملُ جنده

وســـتنتـــهي للشـــاطئ المأمـــون

بالله مَـجـراها ومُـرسـاها، فـهل

تخشى الردى، والله خيرُ ضمين؟

***

يا ربِّ خلِّص مـصْـرَ من أعـدائهـا

وأعنْ عـلى طاغـوتـاها الملـعـون

يا ربِّ إن الـسـيلَ قـد بلغ الـزُّبى

والأمـر في كـاف لديك ونون

باسم الفـراخ الزُغْبِ هـيضَ جناحُـهم

فـقـدوا الأبَ الحـانـي بغـيـر منون

بدمـوع أُمٍّ روعـوها فـي ابنهـا

وبكلِّ دمـعٍ في العـيـون سـخين

بدعـاء شـيـخٍ شَـرَّدُوا أبـناءه

مـا بين مـعـتـقـل وبين سـجين

بسـهـاد زوج غـاب عنهـا زوجُـهـا

فـدعت لفـرْطِ جـوًى وفـرطِ حنين:

ربَّاه رُدَّ عـليّ مـؤنـس وحـشـتي

وأغث بـعـودته جـيـاعَ بنيـني

يا من أجـبتَ دعـاءَ نوحٍ: «فانـتصـر»

وحـملتَـه في فُـلْكِك المشـحـون

يا مـن أحـال الـنارَ حـول خليـله

روحًـا وريحـانًا بقـولك «كـوني»

يا من أمـرت الحـوت يلفظ يونسًـا

وسـتـرته بشـجـيـرة الـيـقطين

يا ربِّ إنّـا مـثـلـه في كـربـة

فـارحم عـبـادًا كلهـم «ذو النون»!

●●●

القصيدة السابعة

السعـــادة

هذه القصيدة قالها الشاعر في التأمل. نظمها عام ١٩٥٦ في السجن الحربي.

وقد قامت بنشرها عدة مجلات منها مجلة حضارة الإسلام الدمشقية، ومجلة منبر الإسلام القاهرية، ومجلة التربية الإسلامية العراقية. وتم نشرها أيضًا في كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث».

وتبلغ أبيات القصيدة مائة وأربعة وسبعين بيتا.

السـعَادة[١]

أمـل إلـيـــــــه هـفـت قـلـو
ب الـنـاس فـي الزمـن الـتـلـيـــد
أمـل.. له غـــــورُ الـقـــديـم
كـــمـــا له ســـحـــرُ الجـديد
أمـل.. إليـــــه ســـعـى الملـو
كُ كـمـــا إليـه رنـا العـبـيـد
وتزاحـــمـــوا كـــالـهـيـم يد
فـعُـهـــا الصَّـــدى عنـد الورود
وتـســـــــاءلـوا عـنـه، ولـكـن
من يـجـيـب؟ ومن يـفـيـــد؟
فـمـشـــرِّقٌ.. ومـغـــرِّبٌ
وكـلاهمـــا يرجـو البـعـيـد

(١) كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية» في العصر الحديث جـ ٣، ص ٣٧.

عـــــادُوا وكلٌّ ســـــؤالِهم:

أين الســعــادة والســعــيــد؟

وتخـــــالفـــــوا، ولكـل قـــو

م وجـــهـــة، ولـهم عـــمـــيـــد

* * *

الثراء!

قـــالـوا: الســـعـــادةُ في الغـنى

فـــأخـــو الـثـــراءِ هو الســـعـــيـد

الأصـــــفـــــرُ الـرَّنَّانُ فـي

كـــفَّـــيـــه يلـوي كلَّ جـــيـــد

يرمي به شَـرَكًـا يصـيـدُ مـن الرغـائب مـا يصـيـد

وبـه يـديـنُ لـه الـعـــــــصـيُّ

وقـــــد يـلـينُ لـه الحـــــديـد

فـــــإذا أراد.. فـكـل مـــــا

فـي هـذه الـدنـيـــــــا يـريـد

وإذا تمنَّى الشيءَ جـــــــا

ء كمـــــــا تمنَّى.. أو يزيد

والناسُ خلفَ ركـــــــابِه

يمشـــون في حضـــرٍ وبيـــد

يعنـــو لـــه ربُّ القـــنـــا

وتهـــــيم ربَّاتُ القـــــدود

قلت: الغنى في النفس وهو

لعـــمـــرُك العـــيشُ الرغـــيـــد

كم عـــــــائل راض، وكم

مُـــثْـــرٍ على بؤسٍ قـــعـــيـــد

فيقيمُ في هم الطريف، وفي الحفاظ على التليد

ويذوب في أطمـــــاعـــــه

هي ناره وهو الوقـــــــود

فـــهـــو الشـــقيُّ بوهمـــه

وبحـــرصِـــه العـــاني الكدود

وهو الفقيرُ وإن بدا

في مال قارونَ العديد

يعدو هنا وهناك في

شُغُلٍ كطوافِ البريد

يبغي المئات، فإن وفت

يبغ الألوفَ من النقود

جَشعٌ به كجهنمٍ

يشكو: ألا هل من مزيد؟

أما الأُلي حولَ الركاب

فهم لشهوتهم عبيد

تَخِذوه صيدًا والغبيُّ

يظنُّ أنهُمُ المصيد

ويلٌ له ويل إذا

عثرت به قدمُ الجدود

ســـتـــــراه كـــالقـــبـــرِ الكئـــيـبِ

وكـــــان كـــــالصـــــرحِ المشـــيـــد

قـــــد عـــــافـــــه الخلُّ الـودو

دُ كـــــــــــــــأنـه نـــتنٌ ودود

أمـــــــــسى نذيـرَ الـشـــــــؤم

وهو الأمسِ كـــان بشـيـــرَ عـيـــد

أمـــــسى ينـقـــــر كـــــالعـــــويل

وكـــــان يـطربُ كـــالـنشـــيـــد

أفـــــبـــــعـــــد ذاك تظـنُّ أنَّ

أخـــا الثـــراء هو الســـعـــيـــد؟

***

النفوذ

قـــالوا: الســـعـــادةُ في النفـــوذِ

وسلـطةِ الجـــاه العـــتـــيـــد

من كـــالأمـــيـــرِ وكـــالـوزير

وكـــالمديرِ وكـــالعـــمـــيـــد؟

يـــرنـــو إلـــى مـــن دونـــه

فـــيـــســـابـقـــون لما يـريد

وإذا رأى رأيًـا فـــــــــذ

لك وحـــده الرأي الـرشـــيـــد

كـل يســـــــــارع فـي هـوا

ه وعن رضـــاه لا يحـــيـــد

قـلت: اطـرحـــــوا هـذي المظـا

هر، واســمـعـوا بيت القـصـيـد

فـــأخـــو النفـــوذِ بـجـــاهه

يشـــقى وإن ســـحب البـــرود

مـــا عـــاش يـحـــرص أن يدو

م له الـنفـــوذ ويســـتـــزيد

متملقًا مَنْ فوقَه

طمعَ المثوبةِ والمزيد

ومخافة أن يسقط الكرسيُّ يومًا أو يميد

مترضيًا مَن دونَه

بعطائِه أو بالوعود

يبغى رضا كلِّ الورى

ورضاهمو شيء بعيد

فتراه يبسمُ للبغيض

كأنه الحِبُّ الودود

وتراه يمتدحُ الغبي

كأنه الفطنُ الرشيد

فاعجب لأزياءِ الملو

ك وتحتها نفسُ العبيد

لا يخدعنك ثلة

حاطوا به مثل الجنود

أبصـــــرهمـــــو - إن شـــــئت -

حـــين يـجيء بالعـــزل الـبـــريد!

تجـــدِ الـنفـــوذَ هوى كـــمـــا

تهـــوى وتـنفـــرطُ الـعـــقـــود!

ذهب الـبطانةُ واخـــتـــفي الزُّوَّار، وانفـض الحـشـــود!

قـــد كـــان ســـوقَ منًى وكـــا

نوا هـم كـتـــجـار الـيـهـــود!

وافَـــــوْه يـومَ نَفَـــــاقـــــه

وجـــــفَـــــوْه أيامَ الـركـــــود!

وإذا رأوه دَعَـــــــــــــوا: ألا

بُعـــدًا كـــمـــا بَعـــدِت ثمـــود!

أفـــبـــعـــد ذاك تظـنُّ أن

أخـــا الـنـفـــوذِ هو الســـعـــيـــد؟!

***

الغرام

قالوا: السعادة في الغرا

م الحلو. . في خصر وجيد

في نرجس العين الضحوك وفي الورود على الخدود

في ليلة قمراء ليس بها

سوى الشهب الشهود

فيها التناجي يستطاب

كأنه وتر وعود

قلت: الغرام خرافة

كبرى وأحلام شرود

هو فكرة بلهاء أو

نزغات شيطان مريد

هو شغل قلب فارغ

فقد التطلع للصعود

وهـو الضـنـى، وهـو الدمـــــــو

ع، وشـقـوة الـقلب العـــمـيـد

مـا أضـيع الأعـمـار تقـضى في الهـيـام، وفي السـهـود

في حـب غـــانـيـــةٍ لـعـــوبٍ

فـي أمـــــانـي، في وعـــــود

الحـــــــب حـــــــب الأم،

والأب والحـليـلـة، والـوليـــــــد

حب المـعـــاني والحـــقـــائق

لا الـقـــــدود، ولا النـهـــــود

حـب يـدوم مـع الـزمـــــــا

ن، فـــــلا خـــــداع ولا كنـود

فـــدع الـتي تهـــواك حـــيث

تراك كـــالزهـر النـضـيـــد

فـــإذا تغـيـــر دهرك الدوارُ غـيـــرها الصـــدود

وإذا رأت مع غـــيـــــرك الدنيـــا مـــشـت تحت البـنود

أفـــبـــعـــد ذاك تـظن عـــبـــدَ

الغـــانـيـــات هو الســـعـــيـــد

* * *

السكون والخمول

قـــالوا: الســـعـــادة في السكون

وفي الخـــمـــول وفي الخـــمـــود

فـي العـــــــيش بيـن الأهـل لا

عـــيش المـهـــاجـــر والطـريد

فـي لقـــمـــــة.. تأتـي إليـك

بغـيـــر مـا جـهـد جـهـيـد

فـي المشـــى خـلـف الـركـب فـي

دعـــــة وفـي خطـو وئـيـــــد

في أن تقـــول كـــمـــا يـقـــا

ل فـــلا اعـــتـــراض ولا ردود

في أن تســـــيـــــر مع الـقطيع

وأن تـقـــــاد ولا تـقـــــود

فـي أن تـصـــــيح لـكـل وال:

عـــاش عـــهـــدكم المجـــيـــد

في أن تـعـــيـشَ كـــمـــا يرا

دُ ولا تعـــيش كـــمـــا تـريد!!

قلـت: الحـــيـــاةُ هـي التـــحـــر

ك، لا السـكونُ ولا الـهـــمـــود

وهـي التـــفـــاعلُ والـتطـو

رُ، لا التـــحـــجـــرُ والجـمـــود

وهي الجـــهـــادُ، وهـل يجـــا

هـدُ من تـعلـق بالـقـــعـــود؟

وهي الـشـــعـــور بالانـتـــصـــا

ر ولا انتـــصـــارَ بـلا جـــهـــود

وهـي الـتـلـذذُ بـــالمـتـــــــــا

عـب لا الـتـلذذُ بـالـرقـــــــود

هـي أن تذودَ عـن الحـــــيـــــا

ض، وأيُّ حـــــــــــر لا يـذود؟

هـي أن تحـسَّ بـــأن كـــــــــأ

سَ الـذل من مـــــاء صـــديـد

هي أن تـعـــيـشَ خليـــفـــةً

في الأرضِ شـــــأنُك أن تـســـود

هي أن تـخط مـــصـــيـــرَ نفـــ

ـــسك في التِّـهَـامِ وفـي النجـود

وتـقـــول: لا، وبملء فـــيـك

لـكل جـــبـــار عـنيـــد

هذي الحـــيـــاة وشـــأنهـــا

من عـــهـــد آدم والجـــدود

فـــإذا ركـنـت إلـى السـكـون،

فـلُـذ بـسـكـان الـلـحـــود

أفـــبـــعـــد ذاك تـظن أن...

أخـا الخـمـول هو الـسـعـيـد؟

* * *

الإيمان

قل لـلذي يبـــغى الـســعـــادة

هل عـلمت مـن الســعـــيـــد؟

إن الســـعـــادة: أن تعـــيشَ

لـفـكـرةِ الحـق الـتـلـيـــد

لعـــقـــيـــدةٍ كـــبـــرى تحلُّ

قـــضـــيـــةَ الكـونِ العـــتـــيـــد

وتجيب عما يسأل الحير

ان في وعي رشيد

من أين جئتُ؟ وأين أذهبُ؟

لمْ خلقتُ؟ وهل أعود؟

فتشيعُ في النفس اليقينَ

وتطردُ الشكَّ العنيد

وتعلمُ الفكرَ السوىَّ

وتصنعُ الخلقَ الحميد

وتردُّ للنهج المسدَّ

دِ كلَّ ذي عقل شرود

تعطي حياتَك قيمةً

ربُّ الحياةِ بها يُشيد

ليظلَّ طرفُك رانيا

في الأفقِ للهدفِ البعيد

فـتـعـيشَ في الدنـيـا لأخـرى

لا تـزولُ ولا تـبـيـد

وتُمِـدُّ أرضَك بالسـمـاء

وبـالملائـكـةِ الشـهـود

وتـريـك وجـهَ الـلـه فـي

مـرآةِ نفـسِك والوجـود

* * *

قلب

هذي العـقـيـدةُ لـلسـعـيـد

هي الأسـاسُ، هي العـمـود

من عـاش يحـملُهـا ويهـتفُ

باسـمـهـا فـهـو السـعـيـد

هو مـؤمنٌ راسـي اليـقـين

كـأنه الجـبـلُ الوطـيـد

غـــال، فـــلا يرضى مـــبـــيعَ

الـنفسِ بالـثـــمـن الزهـيـــد

اللـه منـه قـــد اشـــتـــراها

وهـو أوفى بـالـعـــقـــود

عـــرف الإله، فـلـم يُعـــد

في الـشكِّ يبـــدئُ أو يعـــيـد

عـــرف المراد مـن الحـــيـــاة

فلـم يعـش عـــيش الـشـــريد

وتفـــاعـــلا: هـو والحـــيـــاة

يفـــيـــدها ولـه تفـــيـــد

المـال والجـــاه الحـــلا

ل يـراه أدنـى مـــا يـريـد

فـإذا اســتـفـاد المال فـهـو

لخـيـر أمـتـه رصـيـد

والجـــــاه عُـــــدَّته لـنفـع النـاس

مـن بـيـض وسـ ـــــــــــــود

فـــيـعـــيش مـن مـــعـــروفـــه

في مـــثل سـلطان الـرشـيـــد

مـلـكًا تحـــــــيـطُ بـه القـلـوبُ

ولا تحـــــــــــيـطُ بـــه الجـنـود

ويـعـــــيش مـن إيـمـــــانـه

فـي عـــــالم نـائـي الحـــدود

في عَـــرْض مـــا اتسع الوجـــودُ

وطولِ مـــــا امـــــتـــدَّ الخـلود

ويـعـــــيشُ مـن أخـــــلاقـــه

في عـــــالم الخـــيـــــر المـديد

حلـوَ الشـــمـــائلِ فـي حـــيـــاء

الزهـرِ، في طُـهْـــــرِ الولـيـــد

في رقـــــةِ المـاءِ النـمـــيـــرِ

وبهـــجـــةِ الفـــجـــرِ الجـديد

يحيا بقلب من حرير
لا بقلب من حديد
يحنو على العاني كما
يحنو النسيمُ على الورود
ويذوب للشاكي كما
قد ذاب في الشمس الجليد
هو في الرخاء وفي الشدائد
للجميع أخٌ ودود
لا الفقرُ يذهُله ولا
الإثراءُ ينسيه العهود
كالنجم يبدو في النحوس
بُدوَّه عند السعود
الحبُّ ملءُ فؤادِه
والحبُّ كنزٌ لا يبيد

حبٌّ كضوءِ الشمس يشر
قُ للمسَوَّد والمسود
حبُّ السعادة للبرية
من قريب أو بعيد
لا شامتٌ بالمبتلين
ولا لذي النعمى حسود
لا حاملٌ حقداً، فما
أشقى الحياةَ مع الحقود
يسدي الجميل لكل حي
من شَكور أو جَحود
وإذا صنعت به الجميل
فليس بالرجل الكنود[1]

---

(١) الكنود: الذي ينسى الجميل والنعم.

قوة

هذا الرقيق تراه عند
الروّع في قلب الأسود
متبسّمًا والدهرُ غضبا
نٌ يزمجرُ بالوعيد
فإذا رماه بالخطوب
رماه بالعزم الجليد
وإذا دعته الواجباتُ..
فحملته بما يئود
وجدته صُلبَ المنكبين
فلا يخرُّ ولا يميد

* * *

هو كالشعاع المستقيمِ
فلا يضلُّ ولا يحيد

هـو ناصـعٌ، لا يخـــتـــفـى
خلـف الســتـــائر والســـدود
فـيـه ثبـاتُ أخي العـقـيـدة، لا اضطـرابُ أولي الجـحـود
لـلـنـاس أربـابٌ ولـكـنْ
ربُّـه ربٌّ وحـــيـــيـــد
لا يـــنـــحـــنـــي إلا لـــه
عنـد الركـــوع أو الســـجـــود
صـلـدُ الـرجـــولـة، لا يـرا
ئي، لا يـمـــالئُ، لا يـكيـــد
لا يـنـثـنـي عـنـد الـوعـــو
د، ولا يلـينُ لـدي الوعـــيـــد
لا يلـتـــوي كـــالأفـــعـــوا
نِ، ولا يطـأطئُ كـــالعـــبـــيـــد
وإذا أريـد عـلـى الـدنـيـــة
قـــــال: إنـي لا أريـد

***

هـو مـطئـنٌ لا يـبـــــــيتُ مـن

المخـــــاوفِ فـي ســـــهـــــود

وهـو الـعـــــــــزيـزُ وإن يـكـن

بين الســـــلاسِـل والقـــيـــود

وهـــو الـــغـــنـــيُّ وإن يـــبـــتْ

صـــفـــرَ الـيـــدين من الـنقـــود

أيـدين لـلفـــــقـــــر امـــــرؤ

أخـــلاقـــه نعـم الرصـــيـــد؟

أفـــيـــشـــتكي عـــقـمَ الزمـــا

نِ وقـلبُـــــه خـــــصبٌ ولـود؟

آمـــــــاله تـنـمـــــو عـلـى

الأحـــداث كـــالروض المجُـــود

ويـمـــــدهـا إيـمـــــانه الـد

فـــــاق كـــــالـدم فـي الوريـد

تجلو له الغدَ كالعرو

سِ بدت تَهادَى بين غيد

وتسيغُ -في فمه الجهاد

كمنهلٍ عذب الورود

فيقوم من ساح اللقا

ء إلى لقاءٍ من جديد

ويذوق في كأس العذاب..

عذوبةَ الصبرِ الحميد

ويَشيمُ في وجه البلا

ء مخَايل النصر الأكيد

والنصر مثل الغيث يعرفُ

بالصواعق والرعود

* * *

هذا لعمري شأنُ ذي الإيما

ن أو شأنُ السعيد

لا حـــــــــــزنَ لا نـدمٌ عـلـى
أمـسٍ، فـــــأمسٌ لا يـعـــــود
لا خـــوفَ من غِـــده، فـــخـــو
فُ غـــــدٍ ظنونٌ لا تـفـــيـــد
لا حـــــرصَ لا طـمـعٌ، فـــدا
ءُ الحـــرصِ كم يَـفْـرِي الـكبـود
فلـئن يعش لـهـــو الســـعـــيـــد
وإن يمـت فـهـــو الشـــهـــيـــد

***

قل لـلذي نـشـــد الســـعـــا
دة: دونـك الـنبع الـفـــــريـد
إن الســـعـــادة منـك، لا تأتـيك
مـن خـلـف الحـــــــــدود
هـي بنـت قلـبك، بـنـت عـــقـ
ـلـك ليـس تُشـــرَى بـالنـقـــود
فـــاســـعـــد بـذاتك، أو فـــدع
أمـــر الســعـــادةِ للســعـــيـــد

القصيدة الثامنة

ثورة لاجئ

هذه القصيدة من الشعر القصصي. . نظمها الشاعر عام ١٩٦٢م في المعتقل بسجن المخابرات في القاهرة. .

وقالها في حفلة أقيمت بالدوحة من أجل فلسطين عام ١٩٦٢م. وتناقلتها مجموعة من الصحف والمجلات. . منها مجلة الأفق الجديد التي كانت تصدر في الأردن. ونشرتها مجلة الشهاب اللبنانية عام ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م. .

وفي هذه القصيدة ظهرت البراعة في أسلوب الشاعر وحواره القصصي وهو يخرج بالغلام من اليأس إلى الأمل ثم العمل.

وتبلغ أبيات القصيدة اثنين وستين بيتا.

ثورة لاجئ (١)

لقيته غلامًا لم يبلغ الحلم، قد فرَّ من خيام اللاجئين باكيًا حزينًا حانقًا.. فكان بيني وبينه حوار سجَّلته هذه القصيدة..

رأيته مطرقًا يبكي فأبكاني
وهاج من قلبي المكلوم أشجاني
في زهرة العمر، إلا أنَّ دهرك لا
يرعى الشُّيوخ ولا يرثى لصبيان
في نضرة الغصن، إلا أنَّ عاصفة
هبَّت سمومًا فأمسى غير فينان
تعلوه مسحة عزٍّ سالف غُشيت
من طول ما ذرفت للدَّمع عينان
بكى فكادت له نفسي تذوب أسى
كأن راميَه بالسهم أصماني

(١) الشِّهاب اللبنانية ص ٨ - العدد الرابع عشر - سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

دنوت منه أحاكيه وأسأله

علِّي أُواسي جراح المثقل العاني

سألت: ما اسمك؟ قال: اسمي يدلُّ على

معنى غريب على مثلي: أنا هاني

قبَّلته بين عينيه وقلت له:

هوِّن عليك وإني خير معوان

يا ناعم الظُّفرِ يا بْن العزِّ، مالكَ لا

تكفُّ عن مدمع كالغيث هتَّان

ماذا دهاك؟ احْكِ لي، علّ الحديثَ معي

مجفِّفٌ عنك بعضَ المدمع القاني

حكى الغلامُ كأنَّ الله يلهمُه

إلهامَ يحيى صبيّاً أو سليمان

إن شئتَ يا عمُّ فاسمعْ قصَّةً عجبًا

وإن تكن عُرفت للقاص والدَّاني

يا عمُّ، إنِّيَ غصنٌ لا حياة له

قُطعتُ بالغدر عن أصلي وسيقاني

فقدت روحيَ أمِّي، والحبيبَ أبي

فقدتُ أهلي وأرحامي وجيراني

واللاَّعبون معي في شارعي ذهبوا

موتى استراحوا، وموتى شأنهم شاني!

لقد تفرَّق أهل الحيِّ في بلدٍ

إلى الكهوف بأقطارٍ وبلدان

فقدتُهم، ففقدتُ العيشَ بعدهمو

كيف الحياةُ بلا أهل وخلاَّن؟!

كيف الحياةُ لعصفورٍ ببادية

ولا أليفَ، وقد هِيض الجناحان؟!

فقدت كلَّ عزيز لي، فلا وطنٌ

ولا حبيبٌ، ولا داري وبستاني

دار الجدود التي فيها صباي ربا

وطالما وسعت لعبي وإخواني

* * *

لقد شهدتُ أبي والموتُ يصرعُه

ولم يجد مُسعفًا من قلبِ إنسان

نادى: بنيّ اسقني فالصدرُ ملتهبٌ

فقلت: نفسي الفدا للوالدِ الحاني!

ناولتُه الماء أسقيه. فقبَّلني

وأسْلَم الرُّوحَ في طهرٍ وإيمان!

* * *

يا عمُّ مات أبي في خير معركةٍ

وما بكيتُ عليه مثلَ أوطاني

قد مات يدفعُ عن أرضٍ وعن شرفٍ

لصوصَ أرضٍ وأعراضٍ وأديان

مـــا مـــات، بل هو عنـد الله ألمحُـــه

في الخلـدِ يســـرحُ طـيـــرًا بيـن أفنان

يا عمُّ ذي هيَ مـأساتـي التي قصَـفَتْ

عـودي كمـا عـصـفت مثلي بـعيـدان

مـأسـاة شـعب غـدا يحـيـا بلا وطن

واللص يمـــرح فـيـــه غـيـر خـــزيان

أراد أهل العـمى أن يـقـسـمـوا امـرأة

مـــا بين زوج وعـــاد غـــاصب ثان!

فـهل تـسـوِّغ هذا شـرعـــة عـرفت؟

أم هل يصـــدِّق هـذا عـــقل إنســـان؟

* * *

مسـحتُ دمعَ الفتى البـاكي وقلتُ له:

سمـعتُ منكَ، فخـذ فكري ووجداني

بُنيَّ جُـــرحُك فـي قلبي يســـيلُ دمًـــا

فارحم صـباك، فمـا أشجاك أشـجاني

جـــرحُ العـــروبة والإســـلام فـي بلد

الإسـراء لم يـختلفْ في شـــأنِه اثنان

فـــلا تظنَّـــنْك غُـــصنًا لا أصـــول له

فـقـــد شُـدِدتَ إلى أصلٍ وأغـــصـان

لا تأس أن عـشتَ بعـد الأهلِ منفـردًا

فـكلُّـنا لـك ذاك الوالـدُ الحـــــانـي

وكل أزواجـنا أمٌّ بـهـــــا شـــــغفٌ

لتـــفـتـــديك بروح قـبـل جـثـمـان

ودارُنـا لك دارٌ لـو رضـــــيـتَ بنـا

أهلا بـأهل، وإخـــــوانا بإخـــــوان

فـإن تـعشْ أنتَ والأهلون قـــد رحلوا

فـفـيـك سـرُّ بقـاء الشـــعب يا هاني

قـد عـشتَ حـقّـاً لأمـر لا خـفـاء به

وحكمـة الـله تخـفى بعض أحـيـان

قد عشتَ للنَّصر بالإصرار تغرسُه

فتجتنيه ثمارًا ذاتَ ألوان

فاخلع ثيابَ الأسى واليأسِ مرتديًا

ثوبَ الجهاد نشيطًا غير كسلان

تعلَّم الحربَ في سرٍّ وفي علن

فوق الجبال وفي سهل ووديان

واجمع رفاقَك وانفخ في عزائمهم

ممَّا بصدرك من عزم وإيقان

وقل لصهيون: لسنا أمَّةً همجًا

تمضي سفينتُها من غير ربَّان!

وقل لمن حَسِبونا قطعةً نُظِمت

من غير قافية من غير أوزان

معاذَ ربِّيَ أن تنحلَّ عروتُنا

أو أن نتيه وفينا نورُ قرآن

* * *

تهلَّل الناشئُ الباكي وقال: أجل

يا عمُّ إني في أهلي وأوطاني

يا عمُّ أحييتَ من عزمي ومن ثقتي

هبني يمينًا أقبِّلْها بشكران

اليأسُ كفرٌ إذا ما حلَّ صدَر فتًى

والحمدُ لله قد جدَّدتَ إيماني

جعلت منِّيَ إنسانًا له هدف

وكنت من قبلُ أحيا بعضَ إنسان

إنِّي أحسُّ لماذا عشتُ بعد أبي

ولم أمت مع أهلي مثلَ أقراني

إنِّي حييتُ ليوم لا مردَّ له

للثأر، للدَّم، لاسترداد أوطاني

لأستعيد فلسطينًا كما غُصبت

بالدَّمِ لا بدموعٍ أو بتحنان

لأزرعَ الأرضَ ألغـامًـا أفـجِّـرُها

نارًا علـى من بهـا بالأمس أصـلاني

لأحـملَ المـدفعَ الجـبَّـارَ أُطـلِقُـه

في صـدر مـن قـتلوا أهلـي وإخـواني

لأنزعَ الـدَّارَ والأرضَ التي نَهـبـوا

من كـلِّ لصٍّ ونهَّـاب وخـوَّان

لأرجع الـقـبلـةَ الأولى مطـهَّـرة

من كـلِّ قـرد وخنـزير وشـيـطان

لأسـتـرد ثغـورَ الأمـس ضـاحكة

حـيـفـا ويافـا وعكا روح بـلداني

لكـي تعـود تدوِّي في مـآذنهـا

(اللـه أكـبـرُ) من آن إلى آن

***

أمـى فلـسطـين لا تـأسَىْ ولا تـهنـى

إنا سنـفـديك مـن شـيـبٍ وشـبـان

سنرخـص الموت بالأرواح نبـــذلهـــا

سنعـــمل الســـيف في سـرٍّ وإعـــلان

إذا انتـــصـرنـا فـفي عـــزٍّ ومكرمـــة

وإن قُـــتلـنا فـــفي جـنات رضـــوان!

●●●

القصيدة التاسعة

ابتهال

هذه القـصـيدة قـالهـا الشاعـر في التـوبة والابتهال.. نظمها في صيف عام ١٩٦٢م في القاهرة، حين اعتقـل لمدة خمسين يومًا في مبنى المخـابرات بالقبـة.. وتنشر لأول مرة في هذا الديوان..

وتبلغ أبيات القصيدة سبعة وأربعين بيتًا.

ابتهال

يا مَـنْ لَه تعنـو الوجـــوه وتخـــشع
ولأمـــره كلُّ الخـــلائق تـخـــضع
أعنو إلـيك بجـبـــهـــة لم أحـنهـــا
إلا لوجـــهك ســـاجـــدًا أتـضـــرَّع
وإلـيـك أبـسـط كـفَّ ذلٍّ لـم تـكـن
يومًـــا لغـــيـر ســـؤال فـضـلك تُرفع
أنا -من علمتَ- المذنبُ العـاصي الذي
عظمـت خطاياه، فـجـــاءك يُهـــرَع
كم سـاعـةٍ فـرَّطت فـيـهـا مـسـرفًـا
وأضـــعـــتـــهـــا في زائل لا يـنفع
كم بـتُّ ليلي كـلَّه مـتـــثـــاقـــلاً
وذوو التـــقى حـــولـي قـيـــام رُكَّع

كم بال في أذنيَّ شيطان الكرى

فإذا الصباح على نئوم يطلع[1]

كم زيَّنت لي النفس سوء فعالها

فأطعتها ضعفًا، وبئس الطيِّع

كم وسوس الخنَّاس في صدري، فلم

يجد الذي يعلو قفاه، ويصفع

كم أقرأُ الآيات لو نزلت على

شمِّ الجبال رأيتها تتصدع

مالي أردِّد وعدها ووعيدها

مارقَّ قلبي أو جرى لي مدمع

كم من نفوس بالهدى ذكَّرتها

فمضت كما يمضى الجواد المسرع

أيقظتها للخير حين تركتُني

في غفلة الدُّنيا أتيه وأرتع

---

(١) هذا البيت إشارة إلى ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال: ذُكر عند النبي ﷺ رجل نام حتى أصبح.. فقال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه».

يا حـســـرتا!! أعظ الأنام، فـليـتني
نفـسـي وَعَظْت، فـوعظ نفـسي أنفع

* * *

يا ربِّ حكمتك اقـتـضـتني مـذنبًـا
لأجيء بابـك أستـجـيـر وأضـرع
فـتـرى عُـبَـيْـدَك تائبًـا مـستـغـفـرًا
وأراك غـفَّـارًا لذنـب يفـظع
أنا إن عصـيتُ فذاك من نقـصي، ومَنْ
غـيـر الإله لـه الكمـال الأرفع؟
يا ربِّ أنـت خلـقـتـني مـن طيـنة
ومـن الذي لأصـولـه لا ينـزع؟!
لولا هـداك ونفـخـة علـوية
أودعـتَـهـا روحي لـكان المصـرع
فـيـهـا أصـول علـى التـراب ترفُّـعًـا
وبهـا أحلِّق حـين تصـفـو الأضلع

الطـين يجـــذبـنى إليـــه بـشـــدة

والروح تُـصـــعِـــدني إليك وتـرفع

فـإذا ارتقـــيت إلى رضـاك فـغـــايتي

وإذا هبـطت فـــــدائمًـــــا أتطـلَّع

***

هو الابتـــلاء، عليـــه قـــام وجـــودنا

وبه نُـهـــيَّـــــأ للـخلـود ونُصنع

النار بـالشَّـــهـــوات حُـفَّت فـــتنة

فليـــمـرح الفُـجَّـار ولـيـتـمـتـعـوا

أمـــا الجنان فـــإنهـــا مـــحـفـــوفـــة

بمـكارهٍ تُـدمِي الـفـــــؤاد وتوجـع

الـزَّاد قُلٌّ والـديار بـعـــيـــــدة

والظهـــر نِضْـوٌ، والرَّفـيق مـضـيَّع

وهـناك قـطَّاعُ الـطَّرْيـق طوائـفًـــــا

شـــتَّـى، تُضِـلُّ عن المـراد وتقـطع

إبليس يُغوي والهوى شَرَكٌ له

والعيش يُغري، والأماني تخدع

وهُناك قُطَّاع عتاة أعلنوا

حربًا تخيف السَّائرين وتُفْزِع

جرءوا عليك وأنت تحلم عنهمو!

ولكل شيء عند ربي مرجع

هذي الطريق، وإنها لمخوفة

ربِّ اهدني وأعِنْ عسى لا أُقطَع!

***

يا ربِّ عبدُك عند بابك واقف

يدعوك دعوةَ من يخاف ويطمع

فإذا خشيتُ فقد عصيتُك جاهلاً

وإذا رجوت فإن عفوك أوسع

يا ربِّ إن أكُ في الحقوق مفرِّطًا

فلأنت أبصرُ بالقلوبِ وأسمَع

بين الجـــوانحِ خـافقٌ يـهـوَى التُّـــقى

ويضـــيـقُ كُـــرهًا بالذنـوبِ ويَجـــزَع

ويحبُّ ذكـــرَك، والقلـوبُ إذا خَلَتْ

من ذكـــــرِ ربِّي فَـــــهْـي بُورٌ بَلـقع

ولكم ذكـــرتك خـاليًـــا فـوجـــدتُني

والقـلب في وجـل، وعـــــيني تـدمَعُ

هل لـي رجـــاء أنـني ممن دعـــــوا

يومًـا إليك وقـال: توبوا وارجـعـوا؟!

وحـملتُ مـصـبـاح الهـداية مـرشـدًا

أهنـاك كـــالـقـــــرآن نور يسـطع؟!

ومـشـيت فـي ركب الهـداة، وإن أكن

أبطأت في طلـب الكمـال وأسـرعـوا!

حســـبي أُحِـبُّـــهُم وأقـفـــو خَطْوَهم

ولكـم أرى حب الأكـــابر يـشـــفع

***

يارب مـــالي غـــيـــرَ بابك مَـــفْـــزَع

آوي إليـــــــه إذا يعـــــزُّ المـفـــــزع

مـــالي ســـوى دمـعـي إليك وســـيلة

وضـــراعـتي، ولمن سواك سـأضـرع؟!

إن لم أقف بـالبـــاب راجي رحـــمـــة

فـــلأي باب غـــيـــر بـابك أقـــرع؟!

إن لم يـكن منِّـي الذنوب، ومـنك أن

تعـفو، فـأين اسمُ العـفـوِّ الـمُطْمِع؟!

أين الغـــفـور؟ وأين رحـــمـتـــه التي

وسـعت جـمـيع الخلق؟ أين الموسع؟!

هذا أوان العـــفـو، فـاعف تفـــضُّـلاً

يا مَنْ لـه تعنو الـوجـــوه وتخـــشع!

●●●

القصيدة العاشرة

مناجاة

نظم الشاعر هذه القصيدة في الدوحة في ١٤ شعبان ١٤٠٥ هـ الموافق ٤ مايو ١٩٨٥م.. نظمها بعد جولة إسلامة طويلة في ماليزيا وباكستان ومخيمات اللاجئين الأفغان في بشاور..

وبينما كان في جولته الميمونة يواصل الليل مع النهار، ويتنقل من مكان إلى مكان، شعر بألم كبير في ظهره وإرهاق شديد.. وعاد إلى الدوحة وهو يعاني من شدة المرض الذي أقعده عن جامعه وجامعته ونشاطه الإسلامي المبارك..

وبعد أربعين يومًا على الفراش، حنّت نفسه إلى الشعر بعد هجر طويل.. ونظم قصيدتين حلّق فيهما أيّما تحليق.. كانت الأولى منهما مناجاة وتضرّعًا ودعاء ينطق بالحكمة، ويحمل روح الداعية الذي يلجأ للمولى عزّ وجلّ في الضرّاء والسرّاء، وفي الشدّة والرّخاء..

وتبلغ أبيات هذه القصيدة خمسة وأربعين بيتًا.

مُنَاجَـاة

بعد أربعـين يومًا على الفـراش، من مرض أوهن العظم، وأنقض الظهر، أقـعدني عن جامعي وجامعتي، وحال بيني وبين أحبابي وطلابي - حنّت النفـس إلى الشعـر بعـد هجر طويل - فـجاد الخاطر بهـذه الأبيات أناجي بها ربي، وأذكر بها ذنبي:

يَاربّ ها جِـسْـمي يَشـيـخُ ويَمْـرَضُ
والوَهْن وَافَـــاني سَـــريعًـــا يُـوفضُ
ولَّت سِنُـو عُـــمْـــري كـــرؤيا نَـائِمٍ
ومَـــضَى شَـبَـــابيَ مِـثْـلَ بَرْقٍ يومِضُ
ودنَـا الرَّحـــــــيـلُ ولَـمْ أُهيِّـئ زَادَه
وخـــيـــامُ أيَّامِـي تَـكـادُ تُقَـــوَّضُ

كلُّ النَفَـائِسِ قَـدْ تُعَـوّض إنْ تَضِعْ
والعـمرُ - إنْ ضـيَّعْتَ - لَيسَ يُعـوَّضُ
مـا بعـدَ نُضْـجِ الزَرْع غـيـرُ حَـصَـادِه
هِـيَ سنـةٌ للـه لَيْـــسَتْ تُـنْقَـضُ
وإذا أتى الأجـلُ المقـــدّرُ وقـــتُـــه
لم يُـغْنِ عَنْكَ مـطبِّبٌ ومُـــمَـــرِّضُ

***

مَالي - وقَدْ فَـرَّطْتُ في أمري - سِوى
ربٍّ إلى نَـفَـــحَـــاتِه أتَعَـــرَّضُ
مَـا كَانَ مِـنْ عُذْرٍ لِتَـقْـصِيرى سِـوى
نفْسٍ تُـقَـادُ إلى الجِـنَانِ فَـتُـعْـرِضُ
كَـسْلَى عن الخَـيْـرَاتِ جـدُّ ثَقـيلةٍ
وَهِيَ الجَـــوَادُ إلـى البطـالة يَـرْكُضُ
نامـت وأهل الجـــدِّ قُـــوّامٌ، ولَمْ
تَنْفُض غُـبـارَ النوم فـيـمـا يُنْفَضُ

لم تَحْـذُ حَـذْوَ الصـادقين وظَـهْـرُهَا

مِنْ زَحْـمَـةِ الأوْزَارِ أوشَكَ يُـنقَضُ

قَـعَدَتْ، ولـم تبذْل كـمـا بَذَلُوا، ولَمْ

تَسْـمَعْ دعـاء الـله: «مَنْ ذَا يُقْـرِضُ؟»

أشْـهَـدْتَهَـا، ربي: ألستُ بِـربِّكُمْ؟

قَـالَتْ: بَلَى، فلِمَـا تَحِـيـدُ وتَنْقُضُ؟

ودَنَوْتَ مِـنْهـا بـالعطاءِ تحـبُّـبًـا

يا وَيْحَـهَـا، بالجَـهلِ، منك تَبَـغّضُ!

***

يارَبِّ، في الأولى سَـتَـرْتَ نقـائصي

فـأتمَّ سِـتْـرَكَ يومَ عِنْدَكَ أُعْـرَضُ

مَـالي سِـواكَ إذا الخُطُوبُ تَفَـاقَـمَتْ

أمْـري إليكَ عـلى الدوامِ مُـفَـوَّضُ

لو كـان لـي ربٌّ سِـواك رَجَـوْتُهُ!

فَلِمَنْ أمـدُّ يَدِي وَمَنْ أسْـتَـقْـرِضُ؟

ربَّاه، إنَّ رضـــــاكَ غـــايـةُ مَطْلَبي
مـا ضَـرَّني سَـخِـطَ البَـرِيَّةُ أمْ رَضُـوا

يا جَـابرَ العَـثـرَاتِ، كُنْ ليَ جـابرًا
كَمْ عـاثِرٍ إنْ تَرْضَ عَنْـهَ سَيَـنْهَضُ!

وارفع مكانـي - ربِّ - عندَك بالتُّـقَى
مَنْ تَـرْفَعِ اللَّهُـمَّ مَنْ ذَا يَخْـفِضُ؟!

وابْـسُـطْ عـلَـيَّ عَـطـاءَ ربٍّ بـاسِـطٍ
بَرٍّ، فـإنْ تَـبْـسُطْ فَـمَنْ ذا يَـقـبِضُ؟!

أنا عـائدٌ لِحِـمَـاكَ، فـاقْـبَلْـني عَلَى
مـابي، وإنْ تَقْـبَـلْ فَـمَنْ ذَا يَرْفُضُ؟!

آتيـتني القـرآنَ، فـانْفَـعْـني بهِ
وأقِمْ بِـهِ لي حُـجَّـةً لا تُـدْحَضُ

بَـيِّضْ بِه وَجْـهِـي بِيَـوْمٍ قَـادِمٍ
فـيـهِ الوُجُـوهُ مُـسَـوَّدٌ ومُـبَـيَّضُ

***

يا خَـيـرَ مَنْ أعْطى، وأكْـرَمَ مَنْ عَـفَـا
وإذا دَعَـــاهُ مُـفَـــرّط لا يُعْـــرِضُ
ربِّ اسْـمُكَ الغـفَّـارُ، فـاعْفُ تكرُّمًـا
يدعــوك مكســورُ الجناح مُــهَـيَّضُ
عَـبْـدٌ بِـضَـاعَـتُـهُ الكَـلامُ، جِـهَـادُهُ
صُـحُـفٌ تُسَطَّرُ، أو قـريضٌ يُـقْـرَضُ
يدعـو الورى للـصَّـالحـات، وسِـفْـرُهُ
في صـالِحِ الأعْـمَـالِ خِلْـوٌ أبْيَضُ
ويحـبُّ دَرْبَ الصَّـــالحِينَ، وإنْ أكُنْ
قَـصَّـرْتُ فـيـمـا طَوَّلوهُ وعَـرَّضُـوا
لَـكِنْ لَـهُ قَـلْبٌ يُـحِـــبُّـكَ كُلُّـهُ
وقُلـوبُ أهْلِ الحُبِّ لا تَـتَـبَـعَّضُ
سلْـمٌ لِـمَـنْ والاك، حَـــرْبٌ لِـلأُلَى
عـادَوْكَ، فـهـو يُحِبُّ فـيكَ وَيُبْـغِضُ
يَأسَى لِـهَـمِّ الـمُـسْلِمينَ، وَهَـمُّـهُمْ
شُمُّ الـجِـبَـال بحَـمْلِهِ لا تَـنْهَضُ

فَـعَـسـايَ يَـشْـفَعُ لي إلَهـي أنَّني

أبدًا لحِـزْبكَ ناصِـرٌ وَمُـحَـرِّضُ

أنْتَ الَّذي أكـرَمْـتَني مُنْذُ الـصِّبـا

وَرَعَـيْـتَـنِي، والخَـيْـرُ مِنْكَ مُـقَـيَّضُ

وَغَـرَسْـتَـنِي في الدِّينِ مُنْذُ حَـداثَتي

وَوَهَبْـتَني فَـضْـلاً يَطُولُ ويَعْـرُضُ

وَرَزَقْـتَنِي حُـبَّ الأنامِ تَفَـضُّـلاً

إنَّ المَحَـبَّـة بالعَـصَـا لا تُفْـرَضُ

وَغَـمَـرْتَـنِي بالفَـضْلِ مِنْ قَـرْني إلى

قَـدَمِي، يَـراهُ مـحـدِّقٌ أوْ مُـغْـمِضُ

فَـأتِمَّ بالغُـفْـرانِ فَـضْلَكَ. . . والرِّضَـا

مَنْ ذاقَ حُلْوَكَ لَـمْ يَطِقْ مـا يَحْـمُضُ

واحْشُـرْنِ في رَكْبِ الحَبِيبِ الـمُصْطَفَى

وَمَعَ الَّذِيـنَ لِوَجْـهِ دينِكَ بَـيَّـضُـوا

واجـعَـلْ مِنَ العِلْمِ الَّـذي عَلَّمْـتَني
نـورًا يُضِـيءُ، وروحَ بَـعْـثٍ يُنْـهِـضُ
وَارْزُقْنِـيَ الإخْـلاصَ حَـتَّى لا أُرى
إلاَّ وَكُلِّي فـي رِضـاكَ مُـمَـحَّضُ
وأتِمَّ بالتَـوْفِـيقِ مـا أرْجـو، فَـلا
يُغْتَـالُ، أو أعْـيـا به، أو يُـجْـهَضُ
وامْنُـنْ عَلَـيَّ بنفـحـةٍ عُلْـويَّةٍ
أُشْـفَـى بهـا مِنْ كُلِّ داءٍ يُـمْـرِضُ
لأطَلَّ لاسْـمِكَ ذاكـرًا وَمُـسَبِّـحًـا
كَيْ أُرْتَضَى فـيـمَنْ لَدَيْكَ قَـدِ ارتُضُـوا
وأعِـيـشَ يارَبِّي لِـدِينِكَ نـاصـرًا
مـادامَ بي نَـفَسٌ، وعِـرْقٌ يَنْبِضُ

●●●

القصيدة الحادية عشرة

يا أمَّتي وجب الكفاح

نظم الشاعر هذه القصيدة في الدوحة في ١٦ شعبان ١٤٠٥ هـ الموافق ٦ مايو ١٩٨٥م.. وهي القصيدة الثانية التي نظمها على الفراش.. وانطلق من آلام الظهر والعمود الفقري التي يعاني منها، إلى آلام أمته.. فكانت نفثات شعرية ضمَّنها نجاوى فكره وذوب نفسه المحترقة لهموم الإسلام والمسلمين.. وكانت دعوة إلى العمل والكفاح، والصبر والثبات، الذي يقود إلى الفلاح..

وتبلغ أبيات القصيدة سبعة وتسعين بيتًا.

يا أمّتي وَجَبَ الكِفاح

(حركت الأحداث خواطري، وأنا على فراش المرض، أسمع وأقرأ وأرى ما يجري على الساحة في ديارنا: صليبيون ولا صلاح الدين، وتتار ولا قطز، ومرتدون ولا أبا بكر! فكان من هذه المشاعر والخواطر هذه القصيدة).

يا أُمَّتي وجب الكفاحْ

فدعي التشدَّق والصياحْ

ودعي التَّقاعُسَ ليس يُنـ

ـصر من تقاعس واستراح

ودعي الرِّياء فقد تكلـ

ـمت المذابحُ والجراح

كذب الدعاة إلى السلا

م، فلا سلام ولا سماح

مـــا عـــــاد يجـــــدينـا البـكا

ء عـــلـى الـطـــلـــول أو الـنـــواح

لـغـــــــــةُ الـكـلام تـعـطـلـت

إلا الـتـكـلـمَ بـالـرمـــــــــاح

إنـا نـتـــــــــــوق لألـسـن

بُـكْمٍ عـلى أَيْـدٍ فِـــــصـــــاح

* * *

يا قـــــوم، إن الأمـــــر جـــــدّ

قـــــــد مـــــضـى زمن المـزاحْ

سـمُّـــوا الحـقـــائقَ باسـمـهـا

فـــالقـــومُ أمـرهـمـو صـــراح

ســـــقط الـقـنـاعُ عن الـوجـــــو

ه، وفـــــعـلُهم بـالســـــرِّ بـاح

عـــــاد الصـليـــبـــيـــــون ثا

نيـــــةً، وجـــــالـوا في الـبطـاح

عـــاثـوا فـــســـــادًا في الـديا

ر كـــأنهـــا كـــلأ مـــبـــاح

عـــادوا يريـقـــون الدمـــا

ءَ، ولا حـيـــاءَ من افـتـــضـاح

والبـــاطنيـــة مـــثلـوا الدور

المـقـــــرر فـي نجـــــاح

دور الخـــيـــانة وهو مـــعـلوم

الخـــتـــام والافـــتـــتـــاح

من كـل (حـــشـــاش) أعـــاد

رواية (الحـــسـن الصـــبـــاح)

عـــادوا ومـــا فـي الشـــرقِ (نو

رُ الـدين) يـحكـمُ أو (صـــلاح)

كنـا نســـيـنا مـــا مـــضى

لـكنـهم نَـكـئـــوا الجـــراح

***

أرأيت لبنانًا وما

يجري به في كل ساح؟

أرأيت شاتيلا وصبـ

ـرا والبراجن والضواح؟

أرأيت من حملوا أنا

جيل البشارة والسماح؟

ما هم من الإنجيل إلا

مثلُ أبناءِ السفاح!

لم يخجلوا من ذبح شيـ

ـخ، لو مشى في الريح طاح

أو صبية كالزهر لم

ينبت لهم ريش الجناح

ذبحوا الصبيَّ وأمَّه

وفتاتَها ذاتَ الوشاح

لم يَشف حـــقـــدَهـمـــو دمٌ

ســـفـــحـــوه فـي صَلَفٍ وقـــاح

عـــبـــثـــوا بأجـــســـاد الضـــحـــا

يا فـي انتـــشـــاءٍ وانـشـــراح

وعـــــدَوْا عـلى الأعـــــراضِ لـم

يخـشَـــوْا قـــصـــاصًـــا أو جُناح

مـــا ثَمَّ (مـعـــتـــصمٌ) يغـيـ

ـث من اســـتـــغـــاث به وصـــاح!

***

أرأيـت كـــــــيـف يُـكادُ لـلإسـ

ـلامِ فـي وضحِ الـصَّـــبـــاح؟

أرأيت أقـــصـــانـا، ومـــا

هدمَ العـــدوُّ ومـا اســتـــبـاح؟

أرأيـت أرضَ الأنـبـــيـــا

ء، ومـــا تـعـــاني مـن جـــراح؟

أرأيت كـــيـف بغـى اليـــهـــو

د، وكـيف أحـــسنًا الصـــيـاح؟

غـــصـــبـــوا فـلسطـينًـا وقـــا

لـوا: مـــــا لنـا عـنهـــــا بـراح

كـــشـــروا عـن الأنيـــــابِ لم

يخـــفـــوا وجـــوهـهم القِـــبـاح

لم يـعـــبـــأوا بقـــرارِ (أمـــ

ـنٍ) دانهُـم أو باقـــــتـــــراح

ولطـالما اجـــتـــرحـــوا العـظا

ئمَ، لـم يبـــالُـوا باجـــتـــراح

***

عـــاد التـــتـــار[1] يقـــودهم

جنـكيـــز ذو الـوجـــه الـوقـــاح

عـــادت جـيـــوشـهـــمـــو تهـــدِّ

د بالخـــراب والاجـــتـــيـــاح

(١) يعني الشاعر بالتتار هنا (الروس) وغزوهم لأفغانستان.

يـا ويـل أرض دنسـو

هـا، أنـهـم عُـقُـم الـريـاح

عـادوا ولا (قُـطْـزٌ) يـنـا

دي المـسلـمين إلـى الكـفـاح

لولا صـلابةُ فـتـيـةٍ

غـرٍّ، بدينـهـمـو شِـحـاح

في أرض أفـغـانَ العـريـقـ

ـةِ في الـبـطـولةِ والـصـلاح

غنـمـوا الـسـلاحَ من العـد

وِّ، وقـاتـلوه بـذا الـسـلاح

بـذلوا الـدمـاء، ومـا علـى

مـن يبـذل الـدم من جـنـاح

بسـيـوف (سـيَّـاف) و(حـكمت

يـار) أبـطـال الـنـفـاح

ورجـــــــــــال (بـرهـان) و (يـو

نس) والمـغـــــاوير الـصِّـــبـــــاح

قـــد بـيَّـــضـــــوا وجـــه الحنيـ

فـــــة، ليـس ذلك بامـــــتـــــداح

***

عـــــاد المـروقُ مـــــجـــــاهـرا

مـــا عـــاد يخـشى الافـتـضـاح

نَفَـــــقت هنـا ســـــوقُ النـفـــــا

قِ تـروِّج الـزورَ الـصُّـــــــــــراح

فـــيـــهـــا يبـــاع الفـــسـقُ تحـ

ـت اسـمِ الفـنونِ والانـفـــــتـــــاح

وترى الـفـــســـادَ يصـــولُ جـــهـ

ـرًا في الـغـــــــــدوِّ وفي الـرواح

وتـــطـــــاولَ المـــرتـــــدُّ لا

يُخـــفِي مـن الكفـــرِ البَـــوَاح

من كل أكـــذَبَ من مـــســـيـ

ـلمـــةٍ، وأفـــجَـــرَ من ســـجـــاح

وجـــد الحـــصـــونَ بـغـيـــر حـــرًّا

سٍ، لـهـــا فـــغـــدا وراح

ومـــضـى يعـــربدُ، لا يـبـــا

لي، في حـــمـــانـا المســـتـــبـــاح

وتـعـــالتِ الأصـــواتُ تـد

عـــو للفـــجـــور وللســـفـــاح

مـــســـعـــورةٌ إن رحتَ تزجـــرُ

هـا تـمـادت فـي الـنـبـــــاح

مـــــا مـن (أبـي بـكـر) يـؤدّ

بُـهم ويـكـبـحُ من جـــمـــاح

ويعـــيـــدهـم لحظيـــرة الإيـــ

ـمـــان قـد خـــفـــضـــوا الجناح

***

يـا أمـــــة الإســـــلام هبُّـــ

ـوا واعـــملوا، فـــالوقت راح

الكـفـــــر جـــمَّع شـــمله

فـلـم الـنِّـزاع والانـتـطـاح؟

فـتـجـمَّـعـــوا وتجـهـــزوا

بـالمســـــتـطاع وبالمتـــــاح

يـا ألـفَ مـلـيـــــــونٍ، وأيـ

ـن هـمـــو إذا دعت الجـــراح؟!

هـاتـوا من المـلـيـــــارِ مـلـــ

ـيـونا، صـحـاحًـا من صـحـاح

مـنِ كـل ألـفٍ واحـــــــدا

أغـــــزو بـهم فـي كـلِّ ســـــاح

مـنِ كـل صـــــــافي الـروحِ يـو

شـكُ أن يـطيـــــــرَ بلا جَـنـاح

ممـن يـخـفُّ إلـى صـــــــــلا

ة الـلـيـل بـاديَ الارتـيـــــــاح

ممـن يـعـفُّ عـن الحـــــــرا

مِ، وليس يســـرفُ في المبـــاح

ممـن زكـــا بـالصـــــالحـــا

ت، وذكـــره كـــالمسك فـــاح

ممـن يـهـــــــيم بـجـنـة الـ

ـفـــردوس لا الغـــيـــد الملاح

من هـمـــه نـصح الـعـــبـــا

د ولـيس يـأبى الانـتـــــصـــاح

يرجـــو رضـــا مـــولاه لم

يعـــبـــأ بمـن عنه أشـــاح

بـكَّاءُ مـــحـــــراب، ولـكـ

ـنْ في الـوغى كـــبشُ الـنطـاح

مـــــــرٌّ عـلـى أعـــــــدائِـه
ولقـــــومِـــه مـــــاءٌ قـــراح
فـي الرَّوْع يـبـــــذلُ روحَـــــه
ويقـــول عـند الغُـنمِ: صـــاح[1]
إن ضـــــاقت الـدنيـــــا بـه
وسِـعَـــتْـــهُ (سـورة الانـشـراح)

***

لابـد مـن صـنـعِ الـرجـــــــا
ل، ومـــــثـلُه صـنعُ الـســـلاح
وصـنـاعـــــــة الأبـطـال عـلـ
م فـي التـــــراث لـه اتـضـــاح
مـــن لـــم يُـلَـــقَّـــنْ أصـــلَـه
من أهـله فـــــقـــد النـجـــاح

---

(١) أي يدع المغانم لغيره، وينادي أصحابه ليأخذوها.

لا يُصْنَعُ الأبطالُ إلا

في مساجِدنا الفِساح

في روضة القرآن في

ظل الأحاديث الصحاح

في صحبة الأبرار، مِمّن

في رحابِ الله ساح

من يرشدون بحالهم

قبل الأقاويلِ الفصاح

من صمتهم فكرٌ، وذكرٌ نطقهم

وفعالهم شكر، ومجلسُهم رباح

وغِراسُهم بالحق مو

صولٌ، فلا يمحوه ماح

من لم يعش لله عا

ش وقلبه ظمآن ضاح

يحـــيـــا ســـجين الطـين، لم
يـطلـقْ لـه يومًـــا ســـرَاحَ
ويـدور حـــول هـواه يلـهـثُ
مـــا اســـتـــراح ولا أراح
لا يـســـتـــوي في مـنطـقِ الإ
يمـان سـكـرانٌ وصـــاح
مـن هَمُّـــهُ الـتـــقـــوى وآ
خـــرُ همُّـــهُ كـــأسٌ وراح
شـــعبٌ بغـــيـــرِ عـــقـيـــدةٍ
ورقٌ تُـــذَرِّيـــه الـــريـــاح
من خـــان (حيَّ) على الصـــلا
ةِ) يخـــونُ (حيَّ على الكـفـــاح)

***

يا أمـــتي، صـــبـــرًا، فلـيـ
ـلكِ كـاد يُـسـفِـرُ عن صـبـاح

لابـــد لـــلـــكـــابـــوس أن

يـــنـــزاحَ عـــنـــا أو يُـــزاح

والـلـيـلُ إن تَشْـــتَـــدَّ ظلـ

ـمـــتُـــه نقـــولُ: الفـــجـــرُ لاح

والفـــجـــرُ إن يبـــزغْ فـــلا

نـومٌ، وحـيَّ علـى الـفـــلاح

●●●

القصيدة الثانية عشرة

رسالة شوق وحنين

منذ ربع قرن من الزمان والدكتور القرضاوي يقضي شهر رمضان المبارك بالدوحة.. يخطب الجمعة، ويعظ المسلمين في درس العصر، ويقدم البرامج الدينية الهادفة في الإذاعة والتلفاز. ويصلى بالناس التراويح، ويلقي درس التفسير، فيشعرون بمتعة التلاوة وخشوع العبادة، وفقه الدرس..

وفي شهر شعبان من هذا العام سافر حفظه الله إلى ألمانيا للعلاج، واضطر أن يقضي شهر رمضان المبارك في «بون» بعيدًا عن الدوحة..

وبدأ رمضان وشعر الناس بفراغ كبير وافتقدوا شيخهم الجليل - شفاه الله وعافاه- الذي أحبَّهم وأحبُّوه وترقبوا عودته يومًا بيوم وساعة بساعة..

وازداد شوق الشيخ إلى الدوحة.. إلى مساجدها العامرة وجمهورها المسلم.. فنظم هذه القصيدة في مدينة «بون» في ٦ رمضان ١٤٠٥ هـ، وأرسلها إلى الدوحة لتنوب عنه في لقاء الإخوان والأحباب، وقدَّمها بهذه الكلمات:

(أطلَّ رمضان شهر الذكر والقرآن شهر الصيام والقيام وربيع الإيمان والإحسان فحلَّقت الروح - حيث الجسد حبيس - شوقًا إلى الدوحة بمساجدها وأذانها وقرآنها وتراويحها وأحباب الروح فيها فجاشت الخواطر بهذه القصيدة أهديها إلى الإخوان والأخوات في صلاة التراويح)..

وقامت جريدة الراية القطرية بنشر القصيدة بعددها رقم ١٦٩٢ في ١٨ رمضان ١٤٠٥هـ.

وتبلغ أبياتها سبعين بيتًا.

رسالة شوقٍ وحنين

بين الجـــوانح فـي الأعـمـــاق سـكناه

فكيف أنسى ومـن في الناس ينسـاه؟!

وكيف أنسـى حبيـبًا كنت من صـغري

أســـيـــرَ حُـــسْنٍ له جـلَّت مـــزاياه؟

ولم أزلْ في هـواه، مـــا نقـــضتُ له

عـــهـــدا ولا مَـــحَـتِ الأيامُ ذكـــراه

قـد شاخ جـسمي ولكـن في محـبَّتِـه

مـا زال قلبـي فـتًى في عـشق مـــعناه

من يصـــدق الحُبَّ يبـــقى حُـبُّـــه أبدًا

أئن يَشِـخْ قـيسُ ليلى يـنسَ ليـــلاه؟

في كل عـــام لنا لُقـيـا مـــحـبَّـبـة

يهـــتـــز كل كـــيـــاني حـين ألقـــاه

بالـعين والقـلب بالآذان أرقـــبـــه

وكـــيف لا وأنا بالـروح أحـيـــاه؟

والليل تحلـو به اللقـيـا وإن قـــصـرت

سـاعـاتـهـا مـا أُحـيـــلاها وأحـلاه!

فنوره يجـــعل الليل البـهـيم ضـحى

فـــمـا أجـلَّ ومـا أجـلى مـــحـيَّـاه

ألقـــاه شـــهـــرًا ولكن في نهـــايتـــه

يمضي كـطيف خـــيـــال قـــد لمحناه

***

هذا الحـــبـيب الذي للـخـيـــر أهَّلني

مـا كـنت شـيـــئًـا بعلـم الدين لولاه

هذا الحـبـــيب هو القـرآن عـــشت له

منـذ الصِّـــبـــا وأنـا ولهـــان أهواه

واليـوم أحـيـــا له في الأرض داعـيـةً

حـــتى يحـــقق حـكمُ الله مـــغـــزاه

ولم أزل أرتجي حسن الختام به

عساه يشفع لي في يوم ألقاه

من ربعِ قرنٍ مضى ألقاه في قطرٍ

فيا سعادةَ قلبي حين ألقاه!

ألقاه في رمضان الخير مبتهجًا

فيشبعُ الروحَ معناه ومبناه

واليوم أحرمُ من لقياه وا أسفا

يالَلسجين! ولا قضبانَ تغشاه!

وإنما هي أقدارٌ تصرفنا

من مسه الضُّرُّ لم تحملْه رجلاه!

حمدًا لربي فلا سُخْطٌ ولا جزع

ما اختاره من قضاء قد رضيناه

وما قضاه لنا في طيه نعم

منها عرفنا، ومنها ما جهلناه

فـإنما هـو تمحـيصٌ وتصـفـيـةٌ

وهو الـطَّهـورُ لمثلي مـن خطـاياه

لكن عـافـيـةَ الرحـمـن أوسعُ لي

أنا الضـعـيفُ فـمـا لي غيـرُ نَعـمـاه!

***

يا إخـوةً في رضـا ربي عـرفـتـهـمـو

في دوحـةِ الخـيـر، يا حـيـاكم الله

هلا بعـثـتم شعـاعًـا من مـساجـدكم

تلوح مـنه لنا فـي (بونَ) أضـواه؟!

فـلا أذانَ ولا قـرآنَ نسـمـعـه

ولا تراويـحنا، وَاحـرَّ قلبـاه!!

إنِّي لأذكـركـم في كل أمـسـيـة

ذكـرَ الغـريـب بعـيـد الدارِ مـأواه

كم التـقـينا عـلى ذكـر ومـوعظة

وأفـضلُ الـذكـر قـرآنٌ تلـوناه

في موسم الطهر في رمضان الخير، تجمعنا

مـحـبَّـةُ الـله لا مـالٌ ولا جـاه

من كل ذي خـشـيـةٍ لـله ذي ولع

بالخـيـر تعـرفُـه دَوْمًـا بسـيـمـاه

جـيـلٌ على الحـبِّ والإيمان مـرتـبطٌ

قـد عـبَّـرت عنـه أرواحٌ وأفـواه

إن أنْسَ أوجُـهَـهُم لم أنس رُوحَـهمـو

وكلُّهـم في نَقـاءِ الروح أشـبـاه

قد قـدَّروا موسـم الخيـرات فاسـتبـقوا

والاسـتـبـاق هنـا المحـمـودُ عُـقـبـاه

صـامـوه قـامـوه إيمانًـا ومـحـتـسَـبًـا

أحَـيوْه طَوْعًـا، ومـا في الخـير إكـراه

والوقت كـالناس منه مـا يموت ومـا

يحـيـا، فطوبى لمن بالذكـر أحـيـاه

وكلُّهم بات بالقرآن مندمجًا

كأنه الدمُ يسري في خلاياه

فالأذنُ سامعةٌ، والعينُ دامعةٌ

والروحُ خاشعةٌ، والقلبُ أوَّاه

أحببتهم وأحبوني بلا غرض

إلا لقاءً على ربي وتقواه

ما كان لله يبقى دائمًا أبدًا

رغم الشدائدِ يلقاها وتلقاه

وما يقومُ على دنيا ومنفعةٍ

فسوف ينهارُ ما لم تبقَ دنياه

***

شتانَ ما بينَ مَنْ إبليسُ قائدُه

ومن يقودُ رسولُ الله ممشاه

من اهتدى بهُدَى الأخيارِ كان على

خيرٍ، وسار وعينُ الله ترعاه

ومن مشى خلفَ ركبِ السوءِ ضاع كما

ضـاعـوا، وتاه بعـيـدًا مـثلمـا تاهوا

همـا طريـقـان مـا للناس غـيـرُهمـا

كلُّ امـــرئ يتـــولى مـــا تولاه

إمَّـــا طـريقٌ إلى الـفـــردوس بيِّـنةٌ

في مـحكـم الذكـرِ جلَّتـهـا وصـاياه

أو الطـريقُ إلى نـارٍ مـســـعّـــرةٍ

يهـــوى إليـهـــا مَنِ الشـيطـانُ أغـواه

فـــويلَ مـن يشـــتـــري بالخلـد هاويةً

وخـــاب مـن باع أُخـــراه بأولاه

واعجب لمن سار في درب الهوى وغوى

ولم يقـل ســاعـــةً ندمـــان: ويلاه!

يقـول: ربي رحـيمٌ سـوف يغـفـر لي

قـــد غـــرَّه الجـــهلُ بـالمولى وأغـــراه

من يعرف الله يعرفْه برحمتِه
وبطشه، فهو يرجوه ويخشاه

***

يا إخوة الصدق والإيمان في قَطَرِ
لكم فؤادي وما ضمَّت حناياه
أنسيتمونيَ آلامي بحبكمو
وصادق الحب يُنسي المرء بلواه
وبالهواتف رغم البعد تغمرني
فضلاً، وذو الفضل يبدو في سجاياه
لولا قيودٌ من الأسقام قاهرةٌ
لطرتُ شوقًا إليكم يعلمُ الله!
ما حيلة الطير محبوس ولا قفص؟!
لو رام طيرًا لخانته جناحاه
لكم تمنيت لو أقضي لياليَ من
شهر الرضا معكم أشْتَمُّ ريَّاه

وكم حَنَنْتُ لسجْداتٍ أقول بها:

سبحان ربي وأدعوه بعَلياه

ويالشوقى إلى وتْر القنوت به

أدعو الكريم الذي عمَّت عطاياه

أدعوه والدمع بالعينين مختنق

والقلب محترق مما شهدناه

في كل أرض أرى الإسلام في خطر

من أهله وبنيه قبل أعداه

تفرقوا شيعًا والكفر مجتمع

واليوم يبدو الذي قد كان أخفاه

فاجمع إلهي شمل المسلمين على

هداك وانصر لمن للدين والاه

***

يا إخوتي ليس لي منكم سوى طلب

هل يخذل الأخُ من في الله آخاه؟

إذا قـــرأتم وصليـــتم صـــلاتـكم

وقـــام قـــائمكم للـه ناجـــاه

وهزت الأرض بالتســـبيح سـجـدته

وبلـغت وجـــهَـــه بالدمـع عـيـناه

وراح يدعـــو بما يحلـو له طلبًـــا

للـحـــسنـيين: بدنـيـــاه وأخـــراه

فـلا تـخلُّوا أخـاكـم من دعـائكـمـو

بظهـــر غـيب وســـتـر الليـل أرخـاه

ولتـشـــفـعـوا لي إلى ربي وربـكـمـو

وادعـــوا ليـوسف: لا تـتـركـــه ربَّاه

ادعـوه يكـشفُ ضـرائي ويغـــفـرُ لي

فـضـلاً، فـلا كـاشـفٌ للضـر إلا هو

ادعـــوه يمنحُني عـــفـــوًا وعـــافـيـــة

فـلـيس أكـــــــرمُ منـه في عـطايـاه

ادعـــوه يقـــبلُنـي في المخلصـين له

من اســتـقـامـــوا وقـالوا: ربُّـنا الله

وأنتم القـــومُ لا يشـقـى جليـسُكـمـو

ومن شـــفـعـــتم له يـكرمْـه مـــولاه

●●●

(*) مدينة بون. المستشفى الجامعى لجراحة الأعصاب حجرة (٥١٥).

القصيدة الثالثة عشرة

بنت قنا

هذه هي القصيدة الثانيـة التي عثرت عليها بعـد أن اختـفت عني ٣٨ سنة، وهي لون جديد من قصائدي، فهي قصيدة غزلية في أنثى هويتها من (بنات قنا) فهل عرفت من هي بنت قنا؟

إنها (القُلة) القناوية كما يسميها المصريون. وقد كانت في حجرتي فى تلك الفترة التي قضـيتها في ضـيافة المخـابرات المصرية في مـبناهـا في (سـراى القـبـة) نظمت هذه القـصيـدة متـغـزلاً في هذه الأنثى أو هذه القلة، على طريـقة الألغـاز أو الفـوازير، وقـد وجـدتني رسـمت بالقلم الرصـاص شكلاً بدائيّـاً للقلة، لعله ينـبّه القـارئ من أول الأمر على ماذا أريد.

بنت قنا

أنثى تروق أخـــا الهـــيـــام

حـــسناء فـــارعـــة القـــوام

جـــــسم رشـــــيق زانـه

عـنـق حكـى عـنـق النـعـــــام

جـــذابـة تغـــريك طـلـــ

ـعـتـهـا فـتـدنو في اهـتـمـام

وتحس أن لـقـــــــاءهـا

يشـــفـي الصـــدور مـن الأوام

وإذا حـــرمت الـقـــرب منـــ

ـهـا فـالجـوانـح في ضـرام

عُـــرفـت بطـهـــر القـلب لـم

يـعلـق به خـــبـث اللـئـــام

ينبيك ظاهرها بما

في قلبها وبلا كلام

بنت الصعيد كريمة

من طينة القوم الكرام

***

قنوية، لكنها

بيضاء كالبدر التمام

قِنوية خلعت عبا

ءتها، وألقت الاحتشام

وكأنها بنت الزما

لك في السفور والاقتحام

ثارت على قعر البيو

ت، فلا تحب بها المقام

إلا إذا هجم الشتا

بالبرد يصحبه الغمام

فتحجبت تلك الشهو

ر، وكل شهر طول عام

حتى إذا وُلد الربيـ

ـع، مع الزهور والابتسام

ودنا هجوم الصيف، أعـ

ـجبها الخروج على الدوام

فبدت من الشرفات ضا

حكة تجاذبك الغرام

لا تستحي من وافد

يرنو إليها باهتمام

فإذا دنا منها دنت

فورا، وأسلمت الزمام

ليست ترد يدا تلا

مسها ولو كَفَيّ غلام

تـلقـــــــاك في وضـح الـنهـــــــا

ر وإن أردت فـــــــــفي الـظـلام

وإذا اقـــــــتـــــــربـت تـريدهـا

وتـروم منـهـــــــا مـــــــا يـرام

أفـــــــضت إلـيك بـصـــــدرهـا

دون امـــــتناع أو خـــصـــــام

وحـــبـــتك فـاها الـعـذب تلـــــ

ـــثـــمـــــه ولا تـخـشـى الملام

وتحـــوط كـــــفُّك خـــصـــــرها

وهي المطيـــــعـــــة في ســـــلام

والـنـاس حـــــــولـك ينـظـرو

ن يهـنـئـــــونك بـاحـــتـــــرام

ومن الـعـــــجـــــائب إنـهـــــا

لَـتُـــــــــــحَـبُ مـن كـل الأنـام

حـــتى الـتـــقيّ المســـتـــقـــ

ـــيم بهـــا تعـلق واســـتـــهـــام

مـــا كـــفـــه عنهـــا تقـــا

ه، ولا نهـــاه أن اســـتـــقـــام

لا، لا تســـيـــئـــوا الظن، فـــهـــ

ـــي طهـــورة طُهـــر الغـــمـــام

كـــــلا، ولا عـــــرفـت خنـا

أو نـالهـــــا يـومـــــا آثـام

***

قـنـويـة لـكـنـهـــــــا

رقـت كـــــأقـــــداح المـدام

هي لا تحـب ســـوى العـــشـــ

ـــيـــر أخـي التـلطـف والوئـام

إن لم تـعـــاملـهـــا بـرفـــ

ـــق قـد يفـاجـئـهـا السـقـام

ولـربما مُـنيـت بـجـــــــ

ـــــرح لا يكـون له التـــئـــام

والكســـر فـيـهـا ليس يجـبـره

نَـطَـاسـيّ الـعـظـام

ولـرب عنـف قـــــد يعـــــر

ضـــهـــا لأن تلقى الحِـــمـــام

***

مـــــــــاذا دهـا بـنـت الـكـر

ام، ومن رمـــاها بـالســـهـــام؟

كـــانت فـــتـــاة الحي ليـلـــ

ـــى كل قـيس مـســتـهـام

ليـــست تـنافـســـهـا هـنا

لك (مـــدمـــزيل) أو (مـــدام)

واليـــوم قـــد أضـــحت تـنا

زعـــهـــا بنات الـعم ســـام[1]

---

(١) المقصود: الثلاجات الأمريكية ونحوها.

هـذي هي الـدنيـــــا، فـلـيـــــ

ـــس لـكائن فـــيـــهـــا دوام

***

أعـــــرفـت مـن أعنـي؟ لعـلـــــ

ـــك قـد فـــهـــمت من المقـــام

قـــل لـى: أ «بـــنـتَ قـــنـا» تـــرى

أم يـا تـرى بـنـت الحـــــــــرام؟

●●●

القصيدة الرابعة عشرة

الفراق الطويل

قلتهـا في رثاء الأخ الصديق الصدوق، شـقيق الروح، ورفـيق الـدرب والسكن والدراسـة والدعـــوة والمحنة، محمد الدمرداش مراد، في يوليو ١٩٦٢م، وقد اختفت هذه القصيدة، حتى حسبتـها فيما ضاع من شعري، ثم عثـرت عليها فجـأة في كرتونة في مكتبـتي بالقاهرة في ١٢/٨/ ٢٠٠٠م مع قصيـدة أخرى كنت نسيتـها تمامًا، فكانت فرحتي بهما فرحـة من وجد ضالة عزيزة عليه، بعد أن يئس منها، وبعد ثمانية وثلاثين عامًا.

أنشأت هذه القصيدة في ظروف خاصة، فقد أعرت إلى قطر سنة ١٩٦١م، وبعد انتهاء العام الدراسي عدت إلى مـصر في صـيف ١٩٦٢م، في منتصف شـهر يونيـو، لأفاجأ بمرض أخي وصـديقي محمد الدمـرداش سليمان مراد، الذي زرته في مـستـشفاه فـوجدته مصـابًا بشلل كلي، لا يكاد يتـحرك فيـه غيـر قلبه النابض، وعـينيه ويكاد لسانه لا ينطق، وودعته لأسافر إلى قريتنا للسلام

على الأهل، ثم أعود إليه، لأتفرغ له فسرعان ما بلغني وفاته، وأنا في قريتي، فذهبت إلى قريته (السملاوية) للعزاء وكنت في حاجة إلى من يعزيني، فلعلي كنت أشد من تأثر بموته.

وعدت إلى قريتي لأفاجأ باستدعاء لي من المباحث العامة بطنطا، ليبعثوني إلى القاهرة، فيسلموني من مكان إلى مكان، حتى استقررت في مكان لم أعرفه من قبل، ليس هو السجن الحربي، ولا سجن القلعة، ولا سجن القناطر، ولا سجن مصر، إنه مبنى المخابرات المصرية. وكان معي أخي وصديقي أحمد العسال -رحمه الله-، وإن لم ير أحدنا الآخر، فقد عزلونا، كلًّا منا عن أخيه في سجن انفرادي، وبعد سبعة أسابيع أفرجوا عنا.

في هذه الفترة أنشأت ثلاث قصائد، إحداهن نشرتها بعد فترة وجيزة، وهي قصيدة (ثورة لاجئ) المنشورة في هذا الديوان. والثانية هي هذه القصيدة والثالثة قصيدة (بنت قنا). وإلى القصيدة الجديدة في رثاء أخي الدمرداش رحمه الله.

الفراق الطويل

كان يومًا مقطب الوجه أسود

يوم قالوا: مات الحبيب محمد!

غرق الوجه بالدموع، وكاد الـ

قلب من فرط ما به يتجمد

وتهاويت مثخنا مثل طير

هاض منه الجناح سهم مسدد

غلبت روعة المصيبة صبري

ويقيني، ما استطعت أن أتجلد

كيف لا؟ والحبيب قد ودعته اليـ

ـوم وداعًا لا يَعرفُ (العود أحمد)

فرق الموت بيننا، يا أسى قلـ

ـب لطول الفراق لم يتعود

يا لحظي!! أأفقد الأم والوا

لد حتى أخو شبابى يفقد!

يا لحظي!! أخي الذي كان درعي

في خطوبي، وكان سيفي المهنّد

رب عفوا! ما منك أشكو، ولكن

غلب الصدرَ حزنُه فتنهّد

حكمة الله فوق أوهام عقلي

ولسان السماء والأرض يشهد

رب، آمنت بالقضاء، فهب لي

من لدنك الرضا، لأقوى وأصمد

حاش لي أسخط القضاء، ولكن

ما خلقتَ الذي بصدريَ جَلْمد

أنت عوضتني به عن أخ الد

م فكان الأخ الشقيق وأزيد

كـــان مـــســتـــودعًـــا لســـرّىَ من آ

لام أمس مـــضى، ومن حـلم الغـــد

إنهـــا لم تـكن صـــــداقـــة أعـــوا

م ولكـنه إخـــــاء تجـــــسّـــــد

مـا رآنـي يومًـا سـعـيـدًا فـيـأسى

أو رآني يومًـا، حـزينًا، فـيـسـعـد

يبـسم الدهر لي، فـيطرب كـالـبلـ

ـــبـل فـوق الأغـصـان غنى وغـرّد

ويصـــيب الزمـــان قلـبي بســـهم

فكـأن الرامـي إليـــه تعـــمّـــد

كنت مـنه وكـان مني كـــشـــخص

قـد تسـمى بـ(يوسف) و(مـحـمـد)

فـهو يـبدو في صـورتين وبإسـمـيـ

ـن وخلف الـرسـمين روح مـــفـــرد

***

لهف نفسي على فتى عاش للـ
ـه وللدين صارمًا ليس يغمد
عاش للخير ساعيًا غيرَ وانٍ
عاش للحق جمرة ليس تخمد
عاش للمجد والمعالي طموحًا
ودّ لو يمتطي السحاب فيصعد
عاش في ساحة الفضيلة جنديـ
ـا وفي حلبة الشهامة أوحد
خُلق القرية الأصيلة فيه
قبل غزو القرى بما ليس يحمد

***

يا عُضالا حار الأطباء فيه
أرقد الفارس الفتى شر مرقد
ليس فيه من الحياة سوى قلـ
ـب بصدر أنفاسه تتردد

وفم قـبل كـان يهـدر بالفـصـ

ـحى تراه مـا عـاد يرغـى ويزبد

ثم عـين فـيـهـا بـريق، ولكـن

قـبـلُ كـانت شـرارة تتـوقـد

أين باقـي الفـتى، لقـد مـات منه!

بـدن هـامـد، وحـس تبـلـد

قـدَرُ الله أعـجـز الطب فـار

تدُ حسـيـرا يقـول: مـا لي من يد

قل لذاك المـغـرور بالعلم: مـا تـفـ

ـعـل العلم، والردى لك مـرصـد؟

فـجـر الذر شـامـخًـا، ثـم طأطئ

عند سـر الحـيـاة هذا المـعـقـد

●●●

القصيدة الخامسة عشرة
بشـــرى ودعـــاء

مهداة إلى المولود الحبيب: يوسف غالب همّت

زُفَّت البُـشْـرى بمـيـلاد سَـمِـيِّي
بالحـبـيب بن الحـبـيـب . . ابن عليٍّ
(يوسُف) الحُـسْن، وأكـرِمْ باسـمـه
هو نِـعمَ الـفـرع للأصـل الزكـي
إرثُه (الإيمـان) و(الهـمـة) من
أبويـه، نِعْمَ مـيـراثُ الـصـبي
جـاء والأفـراح في أقـدامـه
مـرحـبًـا باكـورةَ الغـيث الـهني
يُقـرأُ المكتـوب مـن عنـوانه
ويرام الـعِطْـرُ في الـورد الشـذي

***

رَبِّ أنْبَتْـــهُ نبـــاتـا حـــسنا

وأعِـــذْه من حـــســـود وغَـــوِي

رَبِّ، واحـــرســـــه وبارك خَـطْوَه

وَاحْـمِـــهِ من كـل جـبـــار عَـتِي

وارْعَـــهُ، وارْعَ أخـــاه (يـاســـرا)

والشـقـــيـقـات شَـــذا الرَّوْضِ النَّدِي

وبعـد عـــصـر الـمُـبْكِيـــات العـربي

من مُـــضِـــلات الزمـان الـســامـــري

اجـــعـل الدنيـــا لـهم ضـــاحـكة

مـا عـجـزنا عنه من حُلْم قَـصِـيـمـا

كـم سَـــــمِيّ لـك فـي تاريـخنـا

حـــبـــاك الله بالـعـــزم الفَـــتِيِّ

واحْبُ هذا الجـيـل نصـــرا ينجـــزوا

في رضـــــا الـله، وفي هَـدْيِ النـبي

***

(يـوسف) المـرجُـــــوَّ لا تَنْـس إذا

مـــا حـــبـــاك الله بالـعـــزم الفَـتِيِّ

أنك ابن الـدين والتـــقـوى، فـــسِـــرْ

في رضـــــا الـله، وفي هَـدْيِ النـبي

كـم سَـــــــمِيّ لـك فـي تاريـخنـا

من نـبي، وزعـــيم عـــبـــقـــري

فـاقـــتـبـس منهم، وخُـذْهـم أسـوة

لـك فـي الإيمـان والخُـــلُـق الـرضـي

من فـتى أيوب[1] خـذ رُوح الجـهـاد

وفـتى يعقـوب[2] خـذ صبـر التـقي

●●●

(١) هو يوسف صلاح الدين الأيوبي.

(٢) هو سيدنا يوسف الصديق ابن يعقوب عليهما السلام.